فكأن ناحل جسمه في ثوبه ... خلف الخروق يطل من غربال
يابرد فاجل قد ظفرت بأعزل ... ياحر تلك فريسة المغتال
ياعين سحي ياقلوب تفطري ... يانفس رقي يامروءة والي
لولاهمو لقضى عليه شقاؤه ... وخلا المجال لخاطف الاجال
لولاهمو كان الردى وقفا على ... نفس الفقير ثقيلة الاحمال
لله در الساهرين على الالى ... سهروا من الاوجاع والاوجال
القائمين بخير ما جاءت به ... مدنية الاديان والاجيال
أهل اليتيم وكهفه وحماته ... وربيع أهل البؤس والامحال
لاتهملوا في الصالحات فانكم ... لاتجهلون عواقب الاهمال
اني أري فقراءكم في حاجة ... لو تعلمون لقائل فعال
فتسابقوا الخيرات فهي امامكم ... ميدان سبق للجواد النال
والمحسنون لهم على احسانهم ... يوم الاثابة عشرة الامثال
وجزاء رب المحسنين يجل عن ... عد وعن وزن وعن مكيال

﴿ هفوات في الطبع ﴾

وقع في باب (اللغة والادب) شئ من التحريف والتقديم والتأخير وكله آت من قبل الطبع . فقد ورد في (ص ٢٢٧) جملة « كان في أيام ذلك » وصوابها (كان ذلك في أيام) وفي (ص ٢٢٨) جملة «أفعل للألوان كأزرق وأصفر ونحوهما» وصوابها (افعل للالوان كازرق واصفر) الخ وفي (ص ٢٢٩) جملة « وقيل عقار متاعه ونضده » وصوابه (وقيل عقار البيت) وفي (ص ٢٣٠) بيت من الشعر آخر عجزه مغلوط في ضبطه وفي (ص ٢٣٢) جملة « لأنه يخيس » وصوابها (لأنه يخيس) وهناك أغلاط أخرى لاتفوت ذكاء القراء

الهداية

غرة الان

﴿ القاهرة في جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٢٨ هـ مايو ويونيو سنة ١٩١٠ م ﴾

اسرار القرآن

غرة الان

بسم الله الرحمن الرحيم

(اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ . أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ . يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ. وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا . وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

كثيراً ما كتب المفسرون وأسهبوا في تأويل قوله تعالى (الله يستهزئ بهم) ذلك لان استهزاء الله تعالى بالمنافقين ومخادعته إياهم، وسخريته منهم، ليست مما يليق بالمقام الأقدس عن شأنه، اذ من المستحيل على الله تعالى أن يمكر ويسخر ويخدع على وجه العبث واللعب كما يفعل الناس بعضهم مع بعض، وانما المراد أن ينزل الله بالماكرين والساخرين والمخادعين ضروب الانتقام والعقاب، على غير توقع منهم ولا ارتقاب، فكأن الله تعالى خدعهم فأتاهم من مآمنهم وأخذهم من حيث يرتقبون النجاة والسلامة

جاء القرآن الكريم في أساليبه وبديع نظامه على ما عرفته العرب في تأليف عباراتها وتنسيق كلامها، فمن ذلك المشاكلة بين الالفاظ، بأن يذكر اللفظ ثم يعبر عما يقع جزاء له بعين ذلك اللفظ غير مراد منه معناه الحقيقي، فاذا ورد أن المنافقين يخادعون الله ويمكرون به ويسخرون من آياته حسن أن يعبر عن معاقبة الله إياهم على ذلك بنفس تلك الألفاظ تنبيهاً الى أن الله قد عكس عليهم مقاصدهم، وجعل حتوفهم في أمنياتهم، حتى اذا استيقظوا يوم القيامة من غفلتهم، تجلت لهم عواقب مكرهم، ووجدوا أنفسهم قد نالت منهم الأرزاء، وأرهقتهم المصايب، وبديهي أن هذه النتيجة لما كانت غير مايرتقبون وينتظرون من وراء مكايدهم ومكرهم حسن أن يستعمل في التعبير عنها مايدل على الخداع والسخرية والاستهزاء ونحوها، فمن ذلك قوله تعالى (يخادعون الله وهو خادعهم) وقوله (فيسخرون منهم سخر الله منهم) وقوله (الله يستهزئ بهم) وقد علمنا مما سبق في غير هذا الموضع أن الله تعالى يرسل رسله بالآيات والهدى الى الناس، فمنهم من تنزل الحكمة على قلبه فتزيده نوراً وهداية، ومنهم من لا تزيده عظات الله وآدابه وأمثاله الا عناداً

واصراراً على الكفر، فهم في ضلالهم يعمهون، وفي مهامه طغيانهم يهيمون، لا يدرون أي منقلب ينقلبون

ولقد يستدرج الله كثيراً من هؤلاء استدراجاً، فيغدق عليهم نعمته ويملي لهم فلا يعجل لهم عقوبته في الدنيا، قال تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم) وقال تعالى (أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا) وأمثال هذا في القرآن كثير جداً لا يسع المقام استقصاءه

ومن الناس من يدفعه الى ذلك الخطل الجهل الذي قد يفضي به الى معاملة الله تعالى كما يعامل الانسان نده ونظيره، فلقد يزعم المرء أنه يخدع الله في بعض شأنه، وأنه تجوز عليه حيله ومكايده، كما تجوز على أمثاله من البشر، أولئك الذين نزل فيهم قوله تعالى (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء الا انهم هم الكاذبون) ولطالما رأينا من ينتمون الى الدين الاسلامي يسلكون هذه السبيل، فيخادعون الله ودينه بما يفتون الناس من الاحكام الباطلة التي لا أصل لها في الاسلام ابتغاء دراهم معدودة، ولو أيقنوا أن الله تعالى مطلع على سرهم ونجواهم، وأنه محاسبهم على ما يفسدون به الدين، لما أضلوا بخداعهم المسلمين، ولكنهم تبلغ بهم الجرأة على الله والجهر بمحاربته، أن يفتنوا الناس ويزينوا لهم الباطل باسم الدين الحنيف، وما هو من الدين في شيء، ثم هم مع كثرة ما يتخذون من ضروب الحيل الفاسدة تراهم يشهدون الله أنهم بدينه يستمسكون، وباحكامه يفتون، وهم يعلمون أنهم

كاذبون ، لا جرم أن هؤلاء هم المعنيّون بقوله تعالى (يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم)

ولقد أتى القرآن الكريم على كثير من أوصاف المنافقين فى عدة مواضع، والمستقرىء لها يستنتج أن النفاق إما أن يكون نفاقا فى الاعتقاد، وإما أن يكون نفاقا فى العمل، فالنفاق فى الاعتقاد هو أن يسر المرء الكفر ويظهر الاسلام (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا إنا معكم) فهؤلاء ما أظهروا الاسلام عن اعتقاد صحيح، ولكن حقناً لدمائهم، وقصداً الى مشاركة المسلمين فى المزاوجات والمواريث ونحوها مما يسوي فيه الاسلام بين من يدينون به من الحقوق والمعاملات

وأما النفاق فى العمل فله صور كثيرة جداً، فمن ضروب النفاق العملى ما جاء فى هذه الآيات الكريمة، ومنها ما ورد في حديث «ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتي يدعها، من اذا حدث كذب، واذا وعد أخلف، واذا اؤتمن خان» ومن علامات المنافقين أنهم (اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى، يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء) فهم فى الصالحات من أعمالهم يراؤون، وفى أطوارهم وأحوالهم يتقلبون، ومنها أيضاً أنهم جبناء كثيرو الفزع والخوف والرعب، (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذروهم) ومنها إكثارهم من تبرئة أنفسهم من الانشقاق والفسوق عمن يعيشون فيهم فهم (يحلفون بالله أنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يجهلون. لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدَّخَلا لولوا اليه وهم يجمحون) ومنهم من لا قيمة للاعمال الصالحات لديه الا بمقدار ما

يصيبه من حطام الدنيا وما لها وزينتها (ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذاهم يسخطون)

وجاء فى المنافقين من قوم موسى (فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئه يطّيّروا بموسى ومن معه) وفي المنافقين أيضاً قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف. فان أصابه خير اطمأن به. وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة)

ولما كان المنافقون أخطر الاشياء على الامم التي يعيشون بينها، وأضر الناس وأعظمهم بلاء على الدعاة الى الاعمال الجليلة في كل بلد، فكر الفقهاء فيما يجب أن يتخذ حيال المنافقين من الزواجر والروادع

أما الرسول عليه السلام فقد كف عن المنافقين فلم يقتلهم، قال بعضهم ذلك لان الرسول عليه السلام خشى أن يتحدث العرب بان محمداً يقتل أصحابه فتتزايد الفتن، ويقع بذلك تنفير الكثير من الاعراب عن الدخول فى الاسلام كما ورد فى الصحيحين، وقال بعضهم انما لم يقتلهم لأنه لم يكن يخشى شرهم وكيدهم لوجوده بين أظهرهم، يتلو عليهم آيات الله تعالى ويرقبهم جد المراقبة، على أنهم كانوا على قلتهم اذ ذاك ضعافاً جبناء، ولم يكن بينهم وبين مشركي قريش صلات يتمكنون بها من الوشاية بالمسلمين والنميمة عليهم، واطلاع العدو علي أحوالهم وشؤونهم، ولو خشي النبي جانبهم ولم يأمن مكرهم وكيدهم لما كف عنهم، ولكانوا حربا له ما بقوا على نفاقهم وسوء طويتهم، أما استمساك بعضهم بكف المصطفى عن البطش بالمنافقين واعتمادهم على هذا فى تحريم التعرض لهم ماسالموا المسلمين، ولو تلبيساً وخداعاً، فهذا ما لا يتفق مع سياسة الاسلام الدقيقة ونظامه المحكم، وكيف يجتمع هذا مع قوله تعالى

(واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) فهل معنى النبذ الى الخائنين على سواء الا أن ينقب عن سوءآتهم وسيئ مكايدهم، ثم لا يتركون يبيتون الشر للغافلين من المؤمنين، ويدبرون الفزع والسوء للآمنين المطمئنين، انما جزاء المنافقين في كل أمة جزاء الذين يسعون فى الارض فساداً فيكيدون لجيرانهم وأهل ذمتهم وعهدهم، ولا يذرون فرصة تمر دون أن ينتهزوها، ما وجدوا لجيرانهم ومواطنيهم شراً من ورائها

قال ابن جرير أهل النفاق مفسدون فى الارض بمعصيتهم فيها ربهم، وركوبهم ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهم فى دينه الذي لا يقبل من أحد عمل الا بالتصديق به والايقان بحقيقته، وكذا بكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والريب، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله وأحبابه اذا وجدوا الى ذلك سبيلا، فذلك افساد المنافقين فى الارض، فكيف يغفر لهؤلاء سيئات ما يمكرون، ويصفح لهم عن شر ما يكيدون، والله تعالى قد وعد نبيه الكريم بأنهم ان لم ينتهوا عما يفعلون بالغافلين من المؤمنين، فسيطلق يده فى رقابهم فيحزها، وفى جموعهم فيفرقها، ويشردها ويطردها، قال تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا)

بعد أن شرح الله فى الآيات السالفة حال المنافقين وتقلبهم، وأبان لنا ماذا كانوا يقولون اذا شاهدوا المؤمنين، وماذا كانوا يفعلون اذا خلوا الى شياطينهم، بيّن لنا هنا أنه ما دفعهم الى الانصراف عن الحق غموض فيه، أو في المقدمات المؤدية اليه أو تقصير من الداعين اليه، ولكنه عنادهم واستكبارهم

واصرارهم على الباطل، ونزاعهم الي الجحود والكيد السيئ، بعد أن تجلت لهم الآيات البينة، وأقيمت عليهم الحجج الدامغة حتى ألزموها ولولا عنادهم واستكبارهم لالتزموها

بيّن لنا هنا جل شأنه أن المنافقين بعد أن وضحت لهم الحجة ولم يبق أمامهم فى الاسلام ريبة لمرتاب، وبعد أن أصبحت الهداية طوع أيمانهم ومقدماتها ملء عقولهم وقلوبهم، أخذتهم حمية الجاهلية بالاثم فنبذوا الهداية وهي اليهم أقرب، وهم بها أمثل، صائرين الى حيث الضلال المبين والخسران العظيم، فكان مثلهم فى ذلك كمن ملكت يده شيئاً من المال فذهب مريداً مختاراً الى صيدلي فبذل له جميع ما ملك ثمناً لسم زعاف ثم لم يلبث أن شربه بيده فسرى فى أمعائه وأحشائه سما ناقعاً لا بقاء معه للراحة بل ولا للحياة، فما ربح هذا من تجارته سوى البلاء والفناء، ذلك مثل المنافقين الذين تمكنوا من الهداية جد التمكن ثم اطّرحوها اطراحاً، وأحلوا مكانها الباطل الذي يوردهم موارد الهلكة فى الدنيا ثم يكبكبهم فى نار جهنم يوم القيامة، يوم يتولى حسابهم المطلع على سرهم ونجواهم، القادر على الأخذ بنواصيهم الى حيث يلقون عذابه جزاء وفاقاً

ولقد زادنا القرآن بياناً لحالهم بعد أن أتى على شيء من صفاتهم الكاشفة، وكذلك يضرب العرب الأمثال ويستحضر العلماء الاشباه والنظائر، ذلك ان شأنها ليس بالخفى فى ابراز خبيئات المعاني، ورفع الحجب عن الحقائق، حتى تريك المتخيل فى صورة المحقق، والمتوهم فى صورة المتيقن به، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الالد، وقمع لسورة الجامح الابي، وقد أكثر الله من الامثال فى كتابه الكريم وفشت فى كلام الرسل والانبياء والحكماء،

فمن ذلك ماجاء هنا مثلا للمنافقين قال تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لا يرجعون)

ضرب الله هنا هذا المثل ثم عقبه بآخر وكلاهما لمغزى واحد وان اختلف طريق التمثيل، فهنا ضرب المثل للمنافقين مع الرسول الذي اشتغل بهدايتهم زمناً طويلا حتي أوضح لهم الحرام والحلال، والحق والباطل، وبيّن لهم مواضع الشبهات، وحذرهم الوقوع فيما تفضي اليه من المحذورات ، فقال (مثلهم) أى ومثل رسولهم الذى أرسل لهدايتهم وتنوير بصائرهم (كمثل) رجل مع قوم كانوا فى ليل دامس وظلمة حالكة فقام يوقد لهم ناراً يستضيئون بنورها فيتبينون بها طريقهم الطامس ويتعرفون ما حولهم من القذى والاذى، كيما يتقونهما، حتى اذا قوى نورها فلم يبق من الاشياء التي حولهم ما يخفى عن أبصارهم، ذهب ذلك الضوء فلم يستفيدوا من هداية تلك النار بل عتموا فى ظلماتهم الدامسة يعمهون ، وفى طريقهم يتخبطون ، وكذلك كان شأن المنافقين. فان الرسول عليه السلام لم يأل جهداً فى ارشادهم وهدايتهم بل بيّن لهم الحلال والحرام، وسائر الاحكام، وقربها لابصارهم وبصائرهم بالامثال الكثيرة التي لولا عنادهم واستكبارهم لوجدوا فيها من صنوف الهداية وضروب السعادة ما هم أحق وأولى بالاخذ به ، ولكنهم أبوا الا أن يظلوا فى غيهم وكفرانهم ولم يستفيدوا شيئاً مما جاءهم به الرسول عليه السلام، فهم فى ظلمات من الشك والكفر والنفاق لا يبصرون ، و فى سبيل من الوبال والنكال لا يسمعون، اذا صاح بهم المحذرون وناداهم الهداة الراشدون صاروا فى صمم عن صوت الحق وعمى عن نوره، فكيف يتوقع منهم

أن يتكلموا بشيء ينفعهم فى معاشهم أو معادهم، أم كيف يرجعون مع هذا الصمم والعمى والبكم عن قول الصواب الى سبيل الهداية وقد هجروها بغياً وعدواناً وأحلوا أنفسهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار

أما المثل الثانى وهو قوله تعالى (أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت) فهو تشبيه لحال المنافقين وقد وضحت لهم آداب الله وأحكامه ونزل فيهم وحيه وقرآنه

نزل عليهم الاسلام مشتملا على التحذير والتبشير والوعد والوعيد والشدة واللين، نزل عليهم الاسلام ليردع نفوسهم عن الشهوات ويكفهم عن الفحشاء والمنكر والبغى، فكانوا اذا تليت عليهم آيات الله تعالى وما جاء فى كتابه الكريم اجتذبهم الى الاسلام ما فيها من المرغبات والبشائر، ثم ينفرهم عنه ما جاء به من ضروب التهديد وتوعد من لا يرعون لغيرهم عهداً ولا ذمة، ولا يرحمون فى معاملاتهم يتيما ذا مقربة، أو مسكيناً ذا متربة ، وهل يرضى عن دين الله تعالى ظالم يعيش من لحوم العالم وأموالهم، ويستبيح فى شهواته أعراضهم وحرماتهم ؟ أم هل يرضى عن كتاب الله تعالى من يجدون فى الأخذ به قمعاً لشهواتهم البهيمية، وصداً لميولهم الدنية، وزجراً لنفوسهم الطاغية الباغية؟ فمثل الدين الحنيف وما جاء فيه من ضروب التحذير والوعيد والزجر والعقوبات دنيويها وأخرويها، وكذا من صنوف التبشير وصفات الجنة وأنواع الرحمة القدسية الالهية ، مثل مجموع ذلك كمثل قوم أدركتهم سحب كثيفة ذات مياه غزيرة حجبت عنهم السماء ومافيها، بيد أنها مع ذلك مشفوعة بشيء من الرعد والبرق ، فهم كلما برق بارق انطلقوا يمشون ، واذا أظلم عليهم الجو وانقطعت البروق لا يدركون مواقع أقدامهم فيقفون حيارى، مع أنهم لا

يزالون متمتعين بنعمتي السمع والبصر اللتين منحهما الله تعالى اياهم، كذلك شأن هؤلاء المنافقين: فلقد جاءهم الرسول عليه السلام بصيب من الهداية والجو معتم بظلمات الشرك، والنفوس مغشاة بسواد الضلال والكفر، فجاءتهم هداية الله تعالى مشتملة على الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، ثم ضربت لهم الأمثال البينة ووصفت لهم الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والنار وما أعد للعاصين فيها من السلاسل والاغلال، فماذا كانت عاقبة ذلك وآثاره في نفوس امتزجت بالضلال، وطبعت على الكدر والاشراك، وكرهت أن يحال بينها وبين شهواتها البهيمية وميولها الحيوانية ورغباتها الشيطانية؟ تقرأ أخبار أولئك المنافقين في القرآن الكريم وكتب السير والتاريخ فنجدهم كلما أصابتهم حسنة قالوا لنا هذه، وان تصبهم سيئة تطيروا برسل الله وأصحابهم وقالوا لولا هؤلاء ما نزل بنا السوء، ولاشابت صفو حياتنا البأساء والضراء، كانوا كلما سمعوا انذار الله لهم وتهديده اياهم على ماخالفوا أوامره وانتهكوا حرماته فأشركوا به شركاء وجعلوا له انداداً يحبونهم كحبه، ويعبدونهم كعبادته، وكلما ذكرهم القرآن بما عسى أن ينزل يوم القيامة بالذين يعملون السوء بجهالة فيستلبون أموال اليتامى ظلماً، ويسعون في الارض بغياً وعدواناً، لا يرحمون ضعيفاً، ولا يرعون ذمة ولا عهداً، وكلما أخذت أسماعهم رعود الزواجر وأزعجت نفوسهم قوارع الوعيد الشديد، وصيح بهم الا أنه اذا حم القضاء وبعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، فلا مفرّ لأحد من يد الله الذي بيده مقاليد السموات والارض، كلما سمعوا شيئاً من ذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم، كما يفعل أصحاب الصيّب اذ يقرع أسماعهم ذلك الرعد الشديد، ثم قالوا لرسولهم (قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا

وقر ومن بيننا وبينك حجاب) ثم أصروا واستكبروا استكباراً ولم يزدهم دعاؤه اياهم الى الصلاح والفلاح الا فراراً منه واستمساكاً بالباطل، يفعلون ذلك ولهم قلوب تعي وآذان تسمع وأعين تبصر ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، ثم أسقط التكليف عنهم لعجزهم عن أداء فروضه، واحتمال اعباء تكاليفه، ولكنه أسبغ عليهم نعمته فعطلوها، وأرسل اليهم دعوته فلم يستجيبوها، وحرم عليهم البغي والفساد والفسوق فاستباحوها، وهل يعجز الله تعالى أن يذرهم صما لا يسمعون وعميا لا يبصرون وهو على كل شيء قدير؟ وكيف وهو الذي خلقكم أول مرة وجعل السمع والابصار والافئدة؟ فان زعمتم انكم نسالة آبائكم الذين من قبلكم، فهل من خالق لهم غير الله تعالى؟ أنشأهم وصورهم كما أنشأكم وصوركم لم يخالف في تقديره السنة المحكمة والابداع العجيب الذي أراده لهذا الوجود (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى)

بين القرآن الكريم شؤون المتقين وصفاتهم في أول هذه السورة ثم عقبها بقوله (أن الذين كفروا سواء عليهم) الآيات بيانا لحال الكافرين، ثم أتبع ذلك بصفات المنافقين، وشرح أعمالهم في سرهم وعلانيتهم، وهذه هي الاقسام العقلية الممكنة، فالناس اما متقون، وأما كافرون ظاهرون، وأما منافقون يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وقد ضرب من الأمثال ماوضح به الفرق بين المحسنين والمسيئين، والموحدين والمشركين، وبيّن ما يأتيه كل فريق من المنافع والمضار، والمصالح والمفاسد، حتى ظهر لكل مفكر أن أصلح الناس (المتقون الذين يؤمنون بالغيب) الى آخر الآيات، ولما كان من الناس من لا تقنعه هذه الطريقة الخطابية في الزامه بتوحيد الله سبحانه وتعالى وعبادته، حسن أن يجاؤوا من طريق البرهان العقلي الدالّ على ذلك دلالة قطعية فقيل

لهم (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) احتوت هذه الآية على الاستدلال على الله تعالى بآثاره الظاهرة ونعمه الجليلة التي منها أنه خلق الجاحدين المشركين، وخلق آباءهم الأولين ،ومنها أنه جعل الأرض فراشاً، وجعل السماء بناء ، وأنزل من السماء ماء، فسلكه ينابيع فى الارض ، وأخرج به كثيراً من الثمرات ليقتاتوا ويتفكهوا بها ، فكيف لهم بعد هذا كله أن يجحدوا به ويعموا عنه

وفى كل شيء له آية * تدل على أنه الواحد

ولقد أكثر أهل الكلام من ضروب الاستدلال على وجود الله تعالى، ولكنهم قلما أصابوا على كثرة ما كتبوا وأسهبوا ، وبعض أفاضل المتأخرين وان لم يحذ حذوهم لم يأت فى استدلاله بالقول المبين،والبرهان المتين ،إذ لابد لمن شاء أن يعالج مذهب الماديين، ويحارب الجحود التفشي اليوم بين النابتين ، وأساتذتهم المتفيهقين، الذين تخرجوا في مدارس أوربا ثم طفقوا يفخرون بالزندقة وعدم التقيد بدين، أن يقدم لهم بين يديه الأمثال ويسرد الآيات البينات، فانه ماقعد بالناس عن التفكر فى ملكوت السموات والارض ومبدع هذه الكائنات الا جهلهم بما فيها من المحاسن وماقصد بها من الفوائد والحكم التي دقت عن كثير من الأفهام، لهذا كان حقاً علينا أن نأتى على شيء من آثار الله تعالى وآياته، ثم نتدرج بالمتبصرين المنصفين الى حيث العقيدة السليمة واليقين الصحيح

المثل الاول: اعتبر الانسان. فانه اذا باشر الزوج الزوجة وكان من ذلك

الماء الدافق يجد الباحث فيه بالمجهر بعض مايسمى بالحيوانات المنوية ، وما هي الا كائنات سابحة كثيرة الحركة ليست بمركبة من أجزاء مختلفة، ولا ذات خواص متغايرة، وتسمى هذه الحيوانات في لسان الطب بالخلايا، فاذا ماستقرت هذه الخلايا فى الأرحام تنشعب وتنقسم ، ثم تتكاثر رويداً رويداً وتحدث لكل طائفة منها خواص ومزايا لاتكاد تتشابه ، فمن طائفة من تلك الخلايا يتكون العظم، ومن طائفة أخرى اللحم، وهكذا حتى يكمل الانسان ويقدر أحسن تقدير، ففيه يصور الوجه ويقوم الجذع بما فيه من النخاع، وفيه يتخلق الدماغ، الذي هو مصدر العلم وشرط الحياة ومنشأ الارادة والاحساس، وفيه تبرز الجوارح مؤلفة أحسن تأليف،ومنظمة أبدع تنظيم، واذا شئت المزيد فابحث فيما انطوى عليه الجوف من الأحشاء والاعضاء،فان فيها متسعاً للباحثين،ومجالا للموقنين ، فمن أين جاءت هذه الاجزاء المختلفة الخواص والمزايا التي ماحدثت عبثاً ولا لهواً ولعباً، اذا كان مصدر كل ذلك تلك (الخلية) فكيف وهي كما علمت بسيطة لم يكن فيها رأس ولارجل ولا قلب ولا أطراف ولم تكن ذات طبائع مختلفة ومنازع متغايرة ،واذا كان مصدرها ذلك القرار المكين الذي يتخلق فيه الانسان فان الرحم ليس الاوعاء بسيطاً تقر فيه المياه المتخلقة وماهو بالمدبر ولا المدير، ولا المصور ولا القدير،وانما فيه لابه تتحول النطفة علقة ،والعلقة مضغة، والمضغة عظاماً (هو الذى يصوركم في الارحام كيف يشاء)

ثم اعتبر تركيب حاسة السمع وتفكر كيف احتوت على (صوان) يجمع الأصوات،وقناة غير مضلعة تسير فيها تلك الأصوات جميعاً حتي تبلغ مقر الأعصاب الحساسة فتدركها على ماهى عليه ، ثم اعتبر مابعد ذلك من الغشاء الرقيق وما

خلقه من المطرقة وهكذا من الاجزاء التي قدرت لغاياتها وخلقت لفوائدها

واعتبر كيف تتكون كرة العين وطبقاتها المتراكبة وانسانها المبصر وسوائلها المختلفة الألوان، وكساؤها القرني، وغددها التي منها تتخلق الدموع، ثم انظر كيف جعل لها مما يلي الانف مجاري تنحدر منها بعض الدموع الى الأنف، ثم اعتبر كيف كسيت الكرة جميعها بجفون تنطبق وتنبسط طبقاً لارادة صاحبها صيانة للعين مما عسى أن يضربها مما يحمله الهواء من الذرات المنتشرة فيه، وكذلك تقيها الحرارة والرطوبة وبرودة الجو وهكذا، ثم انظر كيف انتهت الأجفان بأهداب تختلف ألوانها باختلاف الأقاليم والأجواء فهي سوداء حيث يكثر ضوء الشمس وتشتد حرارتها، وماذلك الا لأن السواد يمتصّ الحرارة ويخفف تأثير الضوء في الابصار، واذا شئت تفهم هذه الحكمة فائت بشخص أجهر ثم انظر هل يستطيع أن يفتح عينيه حيث يكثر الضوء وتشتد حرارة الشمس ؟

وان شئت المزيد من التفكر في خلق الانسان، فانظر كيف نبتت أسنانه وتنوعت، فمنها القواطع، ومنها النواجذ، ومنها الأنياب، ومنها الطواحن، ثم تفكر هل نوعت ذلك التنوع الا لفائدة مقصودة منها وأعمال أعدت لها وانما لايولد بها الانسان لان غذاءه في طفولته اللبن الذي لايحتاج الى قضم ولا طحن، حتى اذا اشتدّ قليلا وأخذ جسمه ينمو وأصبح اللبن غير كاف لنمائه وكبره، برزت أسنانه رويداً رويداً طبقاً للحاجة، ثم بعد سنين بدلت بأخرى أشد منها صلابة وأقوى على اداء ماقصد منها، ولا تزال كذلك حتى يأذن الجسم بالاضمحلال، والحياة بالزوال، فيحل الهبوط محل الانتعاش، ويأخذ التصرم والاضمحلال مكان النمو والكبر، هنالك تتساقط

الاسنان رويدا رويدا ايذاناً بان المعدة قد كلت، وقوة البدن اضمحلت، ولا يزال الانسان كذلك حتى تشيل نعامته، وتسكن نأمته، ومن شاء أن يستقصي خلق الانسان وأن يتعرف فوائدما أودعه من الاجزاء والألوان فعليه بكتب الطب والتشريح، فان فيها من الآيات مايبهر العقول ويدهش النفوس

المثل الثاني: اعتبر الجمل فانه حينما أريد به أن يعيش في الصحراء ويحمل أثقال البدو وأحمالهم من مكان الى مكان، كون تكوينا يناسب حال الصحارى وماهي عليه من الشؤون: ماء لاينبع الا في أعين متنائية بعضها عن بعض، وأرض قلما عثر السائر فيها على نبتة أو كلأ، وشمس كأنها اللهب الممتد، ورمال اذا حميت كانت بساطاً من النار، لهذا كله خلق الجمل فخلق في جوفه كيسان يستودعهما ذلك الحيوان طعامه وشرابه استيداعا، حتى اذا ماعراه في طويل أسفاره ومترامي ارتحالاته شيء من الجوع أو العطش شرب وأكل من وديعته قليلا قليلا، ولقد منح فوق ذلك مقداراً من الشحم يتسنم ظهره، حتى اذا نفد طعامه المخزون ولم يجد في سبيله مايقتات ذاب ذلك الشحم رويداً رويداً وقام في حفظ حياته مقام ما يطعمه من النبات

خلق الجمل ليحمل الأثقال وهو بارك، فخلقت رقبته ورأسه كميزان القبان، فاذا ماحمل الأحمال وحاول النهوض مد رقبته فخفف بذلك ثقل الحمل عن عجزه، وهنالك ينهض برجليه الخلفيتين ثم يريد النهوض بمقادمه فيثني من رقبته، وبذلك ينحدر الحمل الى الخلف فيخف ماعلى مقادمه من الثقل وهنالك ينهض برجليه الأماميتين

ولما كان أكثر طعام الجمل في البادية الشوك شقت شفته العليا ليستطيع أن يأخذ منه مقداراً صالحاً في كل قضمة، ثم انظر الى خفه كيف استدار ولان، وانظر الى كركرته التي في صدره كيف وضعت، ولم جعلت

ثم تفكر في جميع ذلك وانظر هل خلق شيء من هذا عبثاً أو صور لهواً ولعباً؟ واذا انتقلنا الى المملكة النباتية وتدبرنا كيف يبدأ خلقها وتأملنا مالها من جذور وسوق وأوراق وأزهار وثمار، ورأينا كيف تصان أنواعها ويحفظ وجودها من الفناء المطلق، واذا علمنا خواص كل جزء من تلك الأجزاء التي يتألف منها النبات والغايات المقصودة منها، واذا عرفنا متى تظهر الأوراق وأين مواقعها من فروع النجوم والأشجار، ولمَ يسرع اليها العطب اذا اشتدت الزهرة وانقلبت ثمرة، ولمَ تكون ملونة آونة بالخضرة وأخرى بالحمرة، ولمَ قامت حول الزهر أبان ظهوره متفرقة متقاربة فلاهي بالمطبقة عليه فتمنعه الضوء والهواء والرطوبة الجوية ولا بعيدة عنه فتجعله عرضة لفتك الحر أو القر، اذا تدبرنا ذلك وهو أقل مايعترض المفكرين وقفنا موقف الذي لا يسعه الا أن يصيح باعلى صوته (ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك)

ذلك أن هذه الأشياء ماوجدت كما رأينا الا لغاية قصدت منها وحاجة خلقت لها، فاذا يقول الماديون والزنادقة في ارتباط الكائنات بفوائدها المقصودة منها، فهل من حي أو جزء من حي أو جماد أو عرض في جماد الا كان لغاية مقصودة وفائدة مرادة؟ أكانت الكائنات كما أرادت الطبيعة الجاهلة التي لا تعلم ولا تدبر، ولا تصور ولا تقدر؟ اذاً لما استقام للكائنات نظام ولا قام في الوجود أثر للابداع والاحكام، وبالجملة فان مواضع الاستدلال على وجود الحق سبحانه وتعالى هو أنه لولا وجود قادر مريد مختار منظم مصور لكانت الكائنات غير مرتبطة بغايات مطردة ولا مرادة لحكمة بالغة، ولكننا تتدبر الكون وطرق ابداعه ونتأثر الوجود باجزائه وأعراضه فلا نجد كائناً وجد عبثاً ولا حياً خلا من الابداع والاتقان

(صنع الله الذي أتقن كل شيء) أماما يتشدق به بعض الناس من أن الحاجة هي التي خلقت الكائنات وأجزائها على الصورة التي تطابق بها المصالح الحيوية ويضربون بذلك المثل بتكوين الجمل على وصفنا ليقابل حاجات البلاد الصحراوية وكذا بتكوين أجزاء الانسان على النحو الذي شرحنا ليؤدي في عالم الوجود وظيفته التي له بها السلطان على غيره من الحيوانات والجمادات فهذا مما يقوم حجة عليهم، فان الحاجة التي يزعمون أنها السبب في تخلق الكائنات على ذلك النحو انما هي الغاية المقصودة والغرض المعني من تنوع الكائنات وانما المنوع لها والموجد لصورها والمهيء لاسبابها هو ذلك العليم القدير الذي لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يشركون

اللغة والأدب

اللحن الشائع

(٤)

﴿ تحرير طائفة من الالفاظ ﴾

ومن اللحن الشائع أيضاً قول بعضهم : فلان زاد الطين « بَلّة » وهو جميل « بَلَّه » المنطق . والوجه في كتبهما (بِلّة) وهي الـبداوة . تقول بلّه بالماء أوغيره يُبله بَلا و بِلّة وتجمع البِلّة على بلال . وهى أيضاً الخير والرزق . وأما بلّة اللسان فوقوعه على مواضع الحروف واستمراره على المنطق : تقول ما أحسن بلّة لسانه وما يقع لسانه الا على بلّته . ويقال بلّك الله ابنا وبَلّك بابن بَلا أي رزقك ابنا وهو دعاء . ويقال ما قدم فلان بِهلّة ولا بِلّه . فالهلّة من الفرح والاستهلال والبلّة من البلل والخير

ومنه قوله : « بَنصَر » يريد الإصبع التي بين الوسطى والخنصر . والوجه (البِنصَر)

ومنه قولهم : هذه « ثَـكَنة » الجند وتلك « ثَـكَناتهم » والصواب (الثُّكنة) وتجمع علي ثُـكَنَ وهى مراكز الجند . والثُّكنة الجماعة من الناس والبهائم وخصّ بعضهم بها الجماعة من الطير وقيل هى السرب من الحمام . قال

الأعشى يصف صقرا :

يُسَافِع ورقاء غَوْرِيةً * ليدركها فى حمام ثُـكَنْ

أى فى حمام مجتمع . وهي القـلادة أوالمحجة والراية أوالعلامة :

ومنه قوله : هذا درهم أزال « حرشتَه » تداول الأيدى . والوجه (الحُرشة) والأحرش من الدنانير ما فيه خشونة لجدته . قال * دنانير حُرشٌ كلها ضَربُ واحد * والدنانير الحُرش الحديثة العهد بالسكة

ومنه قوله : عاش فلان « حُقْبة » من الدهر وصوابه (الحِقْبَة) وهى مدة لا وقت لها . وقيل هى السنة والجمع حِقَبٌ وحُقوب . والحُقْبُ ثمانون سنة وقيل أكثر من ذلك . وجمع الحُقْب حقاب كقُفّ وقفاف . وحكى الازهريُّ فى الجمع أحقابا وهى الدهور

ومنه قوله : هـذا رجل « مخرّف » يريد أنه فاسد العقل لـكبره . والصواب (خَرِف) والخَرَف فساد العقل من الـكِبَر . وقد خَرِف الرجل يخرَف فهو خَرِف والانثى خرِفة . قال أبو النجم العجلي :

أقبلت من عند زياد كالخرف * تخُط رجلاى بخط مختلف

وتكتبان في الطريق لام ألف

وخَرَف الرجل يخرُفُ أخذ من طُرَف الفواكه والاسم الخُرفة . ويقال : الثمر خُرفة الصائم أى ثمرته التى يأكلها . ونسبها الى الصائم لأنها يستحب الافطار عليها . وأخرف فلان فلانا نخلة جعلها له خُرفة يخترفها . وأخرف الرجل دخل فى الخريف

ومنه قوله : من « الخَرَق » أن تفعل كيت وكيت . يريد أنه من الحماقة .

وصحيحه (الخُرق) وهو الحمق والجهل. وقد ورد: الرفق يُمن والخُرق شؤم. تقول خَرق الرجل خُرقا فهو أخرق وهي خرقاء. وفى المثل لا تعدم الخرقاء علة ومعناه أن العلل كثيرة موجودة تحسنها الخرقاء. وأما خَرق الرجل يخرَق خَرَقا فهو خرِق فهو من الدهش من الفزع أو الحياء. وقد أخرقه الامر أي أدهشه

قال الكسائى كل شيء من باب أفعل وفعلاء سوى الألوان فانه يقال فيه فِعِل يفعَل مثل عرِج يعرَج وما أشبه الا الأخرق والأحمق والأرعن والأعجف والأسمن فانها على فعُل

ومنه قوله : لا بقاء «لخَلة» فلان يريد صداقته لا خصلة من خصاله. وتحريره (الخُلة) وهى الصداقة وجمعها خِلال. وهى أيضاً الخَلالة والخِلالة والخُلولة والخُلالة. قال النابغة الجعديّ:

أدوم على العهد مادام لى * اذا كذبت خُلّة المخلب

وبعض الأخلاّء عند البلا * ء والرزء أروغ من ثعلب

وأما (الخَلة) فهى الخصلة حسنة أو قبيحة. ومن معانيها الخمرة القارصة أو المتغيرة الطعم من غير حموضة وتجمع على خَلّ قال الهذلىُّ:

مشعشعة كعين الديك ليست * اذا ديفت من الخَلّ الخماط

ومن معانيها الرملة اليتيمة المنفردة من الرمل والحاجة والفقر والخصاصة. وحكى عن العرب اللهم اسدد خَلته قال ابن بري ومنه قول سلمى :

زعمت تُماضر أنني إما أمت * يسدُد بنيُّوها الأصاغر خلتي

ومنه قوله : مازال نصحك لي على « ذِكَر » مني يريد أنه لم ينسه. والصواب (ذُكْر). وقد ورد مازال ذلك على (ذِكر) والضم أعلى. وقال الفرّاء الذِّكْرُ ماذكرته بلسانك وأظهرته والذُّكر بالقلب

ومنه قوله : هو رجل « حَلاحل » يريد أنه ركين شجاع. والصواب (حُلاحل) وهو السيد في عشيرته الركين في مجلسه. وقيل هو عظيم المروءة أو الرزين. وليس له فعل ولا توصف به النساء. وحكى ابن جني رجل (مُحلحَل) و (مُلَحلِح) ويجمع على (حَلاحِل) قال امرؤ القيس :

يالهف نفسى ان خطئن كاهلا * القاتلين الملك الحُلاحِلا

وحكى ابن بري (والحُلاحِل) أيضاً التام. قال بجير بن لأي بن سحر:

تُبين رسوماً بالرُّويتج قدعفت * لعنزة قد عُرّين حَوْلا حُلاحلا

ومنه قوله : هو من « رُعاء » الابل أي ممن يحفظونها ويرعونها. وصوابها « رِعاء » جمع راع. مثل جياع وجائع. ويجمع على رُعاة ورعيان. قال فى اللسان وليس في الكلام اسم على فاعل يعتور عليه فُعَلَةٌ وفعال الا هذا وقولهم آس أساة واساء. وقال الازهري وأكثر مايقال رُعاة للولاة والرعيان لحافظى الغنم. وأما قول ثعلبة بن عبيد العدويّ :

تبيت رُعاها لاتخاف نزاعها * وان لم تقيد بالقيود وبالإبض

فقد ذهب أبو حنيفة الى ان «رُعى» جمع رعاة فان الاخير بلفظ الواحد

ومنه قوله هذا « سَفود » لما يشوى به اللحم. والصواب (سَفُّود) أو (سُفُّود) قال في اللسان هو حديدة ذات شُعَب معقّفة معروف

ومنه قوله : هـذا رجل « سِيقة » يريد أنه يساق حيث يراد به.

والصواب (سَيِّقَة) وهى مااختلس من الشيء فسيق. أو التى تساق سوقا. قال فى اللسان :

وهل أنا الأمثل سَيِّقَة العدا * ان استقدمت نجروان جبأت عَقرُ

والسَّيِّقه مااستاقه العدوّ من الدواب مثل الوسيقة

ومنه قوله : اجتمعت « شَرذمة » من الناس أى قليل منهم. والصواب (الشِّرْذِمة) وهي القطعة من الشيء والجمع شراذم . قال ساعدة بن جؤبة :

نفرّت وألقت كل نعل شراذما * يلوح بضاحى الجلدمنهاحُدُورُها

وعن الليث أن الشّرذمة القطعة من السَّفرجلة ونحوها

ومنه قوله : انه كثير « شَقشقة » اللسان يريد أنه مكثار على التشبيه بالبعير الكثير الهدر. والوجه فيه (الشِّقْشِقَة) وهى لهاة البعير وقيل هى شيء كالرئة يخرجه من فيه اذا هاج . والجمع الشقاشق . وفى حديث عليّ رضي الله عنه : أن كثيراً من الخطب شقاشق الشيطان . جُعل للشيطان شقاشق ونسب اليه الخطب لما يدخل فيها من الكذب. وقال أبو منصور شبه الذي يتفيهق فى كلامه يسرده سرداً لا يبالى ماقال من صدق أو كذب بالشيطان. والعرب تقول للخطيب الجهر الصوت الماهر بالكلام:هو أهرت الشِّقْشِقَة ومنه قول بن مقبل يذكر قوماً بالخطابة :

* هُرت الشقاشق ظلامون للجُزُر *

ومنه قوله : هذا بحر لا يُخاض له « عَباب» يريد بهذه كثرة الماء مثلا والصواب (عُباب). قال عُباب الماء أوله ومعظمه والسيل معظمه وارتفاعه وكثرته وكثرة الماء والمطر الكثير والموج . ويقال جاء القوم بعُبابهم أي أنهم جاؤا أجمعين وفى حديث: أناحيٌّ من مذحج عُبابُ سلفها ولُباب شرفها.

وفى حديث على يصف أبا بكر رضي الله عنهما : طرت بعبابها وفزت بحبابها أى سبقت الى جُمه الاسلام وأدركت أوائله وشربت صفوه وحويت فضائله

ومنه قوله : أنت « عِتادي» للشدائد يريد أنه عدته .والصواب(عَتاد) وهو يجمع على أعْتِدَة وعُتُد . وهو ما تُعدّه لامر ما وتهيئه له . يقال أخذ عُدته وعَتاده أي أهبته وآلته. وفي صفته عليه الصلاة والسلام لكل حال عنده عتاد أي مايصلح لكل مايقع من الامور . وشاهد الجمع على أعْتِدة ماورد من أنه صلى الله عليه وسلم ندب الناس الى الصدقة فقيل له قد منع خالد بن الوليد والعباس فقال عليه الصلاة والسلام أما خالد فانهم يظلمون خالداً أن خالداً جعل رقيقه وأعْتده حُبُسا فى سبيل الله وأما العباس فانهاعليه ومثلها معها

ومنه أيضا : كان « قِيلا » من أقيال حمير يريد أنه كان ملكا من ملوكهم والصواب (قَيْلٌ) ويجمع على أقيال وقيول . وسمى قَيلا لأنه يتقيّل من تقدمه ويتقيّضهُ أى ينزع اليه فى الشبه . وقد قالوا انه لا يطلق الا على ملوك حمير . وعلى هذا ورد فى الأثر الى قيل ذي رُعين أى ملكها (وهي قبيلة من اليمن تنسب الى ذى رُعين) وقال ثعلب الأقيال الملوك من غير أن يخصّ بها ملوك حمير

ومنه قوله : ضَع هذه الغاية « نَصب » عينيك يريد أن يلفتهُ اليها . والوجه (نُصب) قال في اللسان وقال مرة هو نُصب عيني هذا فى الشيء القائم الذى لا يخفى عليّ وان كان ملقى . يعنى بالقائم الشيء الظاهر . وعن القتيبي: جعلته نُصب عيني ولا تقل نَصب عيني

ومنه قوله : « دحض » فلان حجة فلان يريد أنه أبطلها لادفعها. وانما (الدحض) الدفع . وأما إبطال الحجة فلم أر فيه في هذه المادة الا (أدحض) قال فى لسان العرب الدّحْض الزّلَق والادحاض الازلاق .تقول دَحَضَت حجته دحوضا أى بطلت وأدحضتها أبطلتها .وأما دحض فى مثل قول طرفة:

رديت ونجى اليشكريّ حذارُه * وحاد كما حاد البعير عن الدَّحْض

فالمراد به المكان الزلق . تقول هذا مكان دَحْض اذا كان مزلة لا تثبت عليها الأقدام . ومَزَلة مدحاض اذا كان يُدحض فيها كثيراً

ومنه قولهم « بَزّ » فلان فلانا في الفن يريد أنه فاقه فيه وعلاه .وقول الآخر « بَذّ » الشيء يريد أنه غصبه وانتزعه . وكلاهما خطأ . فان (البذ) السبق والغلب وكل غالب باذّ.والعرب تقول بذّ فلان فلانا يُبذّه بذّا اذا ما علاه وفاقه في حسن أو عمل كائناً ما كان . وأما (البزّ) فمعناه السلب ومنه قولهم فى المثل : من عزّ بزّ ومعناه من غلب سلب والاسم (البِزّيزي) كالخِصّيصي وهو السلب. وبزّه يَبزّهُ بزّا غلبه وغصبه.

ويضارع ما تقدم فى قبح اللحن وشيوعه قول بعضهم فلان لم «ينبث» ببنت شفة يريد أنه لم يتكلم . والصواب (ينبَس) من نَبَس ينبِس نَبْساً وهو أقل الكلام . وما نبس أو نبّس بكلمة أي لم يتكلم . قال الراجز:

* ان كنت غير صائدي فنبس *

وأصل النبس الحركة ولم يستعمل الا فى النفى ويروى لمهلهل قوله في الرثاء:

نبئت أن النار بعدك أوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

وتكلموا في أمر كل عظيمة * لو كنت شاهدهم بهالم ينبسوا

الاصلاح والعمران

الاجتهاد في الاسلام

(بحث فيه)

من طبيعة الأديان أنها تؤلف بين الشعوب المختلفة والأجناس المتباينة ففيها قوة الجذب الى المركز. أما المذاهب فعلى العكس أي أن فيها قوة الدفع عن المركز فهي تفرق بين الشعوب المؤتلفة وتفكك عري القلوب المتحدة

جاء الاسلام فانضوي تحت لوائه قبائل العرب المختلفة بعد أن كانوا متنازعين ثم تبعهم على الأثر جماعة من الامم المتباينة كالفرس والترك والبربر بعد أن كانوا متباعدين

أفاض الدين الاسلامى على قلوب هذه الاقوام من روحه السماوية فطهرتها ونقتها من الغل والحقد والحسد . ثم جعلتها كتلة واحدة متماسكة الأجزاء مشدودة الأوصال. فلما جاءت المذاهب ونجمت رؤوس الخلاف توزعت الامة فرقا متكاثرة وشيعاً متنافرة

أول أثر سيء نتج عن هذا الخلاف فى الآراء ما كان من أمر الامام على ومعاوية منذ ثلاثة عشر قرناً . وآخر أثر بلغنا ما كان من أمر الفتنة التي ثار ثائرها منذ أشهر في بخارى بين أهل السنة والشيعة . وفي جامع السيد أحمد البدوى فى طنطا بين طلاب العلوم وأبناء الطريق

هذه الفتن والمشاغبات لا تزال تفتك فى الامة الاسلامية وتنهك قوتها ما بقيت المذاهب والفرق المختلفة فيها وما بقي علماء كل فرقة يعتقدون

وجوب محو الفرقة الاخرى ويرون من الدين التقرب الى الله ببغضها وكراهتها !

يرى أبناء العصر الحاضر أن مصلحة البشر اليوم تقتضي اعتبار الأديان كوسيلة تؤلف بين قلوب المختلفين فيها . وأن كل دين لا يرمي الى هذا الغرض تجب مقاومته والعمل على حرمانه من نعمة الوجود

هذا رأيهم في الأديان المختلفة اختلافا جوهريا. فكيف ينبغي أن نقول في النحل والمذاهب التي يختلف المسلمون عليها اختلافا عرضياً كاختلاف الشيعة وأهل السنة فى الهند وبخارى وكاختلاف الشافعية والزيدية فى اليمن وكاختلاف أهل الطريق وطلاب العلوم فى طنطا ؟؟

لا جرم أن الواجب على العقلاء المفكرين من المسلمين من أية فرقة كانوا — أن ينظروا فى هذا الأمر ويتدبروا نتائجه

فقد اختلفت الحال فى عصرنا الحاضر عما كانت عليه فى العصور السالفة بنسبة اختلاف أسباب المواصلات بين الامم والشعوب فلم يعد من المتيسر لكل فرقة أو طائفة أن تبقى وحدها

هذه الصين فتحت أبوابها ورحبت بالوافدين من الامم بعد أن كانت تعد ذلك من المحرمات : بل هذه بلاد التيبت وعاصمتها المقدسة (لاسا) قد رفعت الحواجز الدينية التي كانت تحجز بينها وبين بقية الامم. وبالامس هرب (اللاما) نفسه من (لاسا) ودخل بلاد الهند لاسباب سياسية دعته الي ذلك

هذا التقارب والتمازج بين الشعوب يستدعى حسن التفاهم ويلزمه قليل من التسامح . ولا يتسني للعامة أن يفهموا هذا الامر ويعقلوا ضرورته

من عند أنفسهم. وانما العلماء والامراء هم الذين يجب عليهم نشر ذلك ودعوة الفرق المختلفة اليه . وتفهيمهم بأن الدين الصحيح سمح سهل . وأن أهله ينبغى أن يكونوا متسامحين متساهلين . وأنهم بهذا التسامح ينصرون دينهم ويجذبون الناس للدخول فيه . وبه تتحقق وحدتهم القومية ويأمنون على استقلالهم السياسي

وأشد الامم احتياجا الى ماذكرنا هي الامة الاسلامية. وأولى الناس بالسعى لماذكرناهم علماء الاسلام وملوكه. فان هؤلاء العلماء والملوك اذا صلحوا وعرفوا كيف يوفقون بين فرق الاسلام صلح المسلمون وعرفوا كيف يثبتون أمام الأمم الطامعة . واذا فسد العلماء والملوك وجهلوا طريق الوفاق والاتحاد فسد المسلمون وجهلوا طريق الخير والاسعاد

قلنا أولا ان من طبيعة الدين التأليف كما أن من طبيعة المذهب التفريق . فيقول قائل : ان التفريق بين المسلمين حرام. واذا كان المذهب أو التمذهب مما يؤثر فى المسلمين هذا الأثر كان حراما مع أن نشوء المذاهب ناتج عن اختلاف الآراء. وهذا أمر طبيعى لا مندوحة عنه: هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد قامت فى الاسلام مذاهب كثيرة لا تزال معمولا بها الى اليوم. ونشأ أئمة أصحاب مذاهب يتبرك بهم ويهتدي بهديهم وتفتخر الامة الاسلامية بعلمهم وفضلهم . فكيف يجتمع هذا مع ما قلته فى المذاهب والتمذهب بها ؟

وأقول فى الجواب لا خلاف فى هذا ولا نكران أن نشوء المذاهب في الاسلام بركة فى الدين وقد كانت رحمة على المسلمين. ولكن الشأن كل الشأن في أن ندع المذاهب وأهلها تعمل على التفريق بين أجزاء الامة وتفكيك الاواصر التي تربطها وتؤلف بينها. فاذا كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أتانا

بهذا الدين الكريم لكى يؤلف بيننا ويكونا أمة واحدة فما كان ينبغى قط أن نسمح لاي رأي أو أي مذهب أو أى صاحب مذهب أن يجر وراءه طائفة من المسلمين يعتزل بها عن المجموع ويقوم هنا غيره يفعل فعله ويقوم هناك آخر يفعل مثلها

نعم أن قيام المذاهب المتفرقة كان يؤدى أحياناً الى قيام أمراء وملوك متفرقين في الأقطار متغلبين على الامصار. وكثيرون من الملوك كانوا يستخدمون المذاهب الدينية وسائل للأغراض السياسية والنكاية بخصومهم السياسيين كما فعل اسماعيل شاه ملك العجم. فانه حمل الناس فى بلاد إيران علي المذهب الشيعى لتكون له عصبية قوية يقاوم بها الدولة العثمانية ذات المذهب السني

اذا جوزنا فى الاسلام التمذهب على هذه الصورة بان يعتزل صاحب كل مذهب ومن معه من التابعين جمهور المسلمين اعتزالا يؤدى الى التباغض فالتحاقد فالتلاحم كما وقع فى تاريخ الاسلام ولا يزال يقع فى هذه الايام: اذا جوزنا هذا رجعنا على موضوع الدين بالنقض وكنا مكذبين للبشائر النبوية والامتنان علينا بالتأليف بين قلوبنا وأننا أصبحنا بنعمة الله اخواناً وأن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً

فنحن لا نرفض المذاهب أو الآراء الاجتهادية وانما نرفض أن يتفرق المسلمون حول المذاهب والآراء ويصبحوا شيعا متباغضة يذوق بعضهم بأس بعض

ولكن هل يتسني للمسلمين أن يقوم فيهم أئمة أرباب مذاهب مختلفة ثم لا يتنازعون ولا يتدابرون ؟ نعم يتسنى ذلك لهم . ولم يتسني ؟

ألم يكونوا فى الصدر الأول يختلفون ويجتهدون ؟ ويرى هذا رأياً لا يراه الآخر ثم يقوا مع هذا متحدين متفقين وبقيت الامة محبوكة الاطراف مجموعة الاكناف ؟ روى عن عمر رضي الله عنه أنه لقى رجلا فقال له ماصنعت بمسألتك ؟ قال قضى فيها على بكذا وقضي زيد بكذا . فقال عمر لو كنت سألتني لخالفتهما وقضيت بكذا . قال الرجل فما منعك أن تقضي لي بما قلت؟ قال عمر لو كنت أردك فى قضائي الى دليل من كتاب الله أو سنة رسوله لفعلت وألزمتك العمل بقولي لقوة دليلي ورجحانه علي دليلها . أما وأنا أردك الى رأيي فما كان لي أن ألزمك به وأحملك عليه دون رأي علي وزيد. وذلك لان الرأى مشترك . فانظر كيف أن عمر رضي الله عنه لم ينقض ما قاله على وزيد فى المسألة. بل ترك للسائل ملء الحرية فى أن يختار لنفسه القول الذي يلائمه

ولا ريب أن هذا فى المسائل والاحكام الخاصة بالافراد . أما الأخرى المتعلقة بمجموع المسلمين ومصالحهم العامة فما كان عمر ليدع الجمهور يقلد أى رأى أراده وانما كان يجمع ولاة الأمور وهم أهل الحل والعقد من الصحابة ويشاورهم فى الأمر فيختاروا ما كان موافقاً للمصلحة ويكون إجماعهم عليه بمنزلة النص الذي لا يجوز لهم ولا لمن بعدهم ترك العمل به

فعلى المسلم أن يعمل بالنص من القرآن أو السنة . واذا لم يهتد اليه بنفسه سأل عنه غيره . واذا لم يكن ثمة نص اجتهد برأيه فان لم يهتد لرأى يبعث فى نفسه الطمأنينة عمل برأي الغير . قال الشافعى رضي الله عنه أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس . فالرأي انما يصار اليه عند فقد النص. ويمكن أن يقال إن العمل بالرأي

ضرورة أو مؤقت ريثما نجد نصاً أو رأياً آخر أقوى منه وأعلق بالمصلحة

قيل لجابر بن زيد أنهم يكتبون ما يسمعون منك . قال « إنا لله وإنا اليه راجعون . يكتبونه وأنا أرجع عنه غدا » وكان الأمام أحمد بن حنبل لا يدون كلامه كبقية المجتهدين لخوفه أن يقع في رأي مايخالف الشريعة .

وروى أبو يوسف والحسن بن زياد كلاهما عن أبي حنيفة انه قال « علمنا هذا وهو أحسن ما قدرنا عليه ومن جاءنا بأحسن منه قبلناه منه » وكان الامام الشافعي يقول « اذا رأيتم كلامي يخالف كلام رسول الله فاعملوا بكلام رسول الله واضربوا بكلامي عرض الحائط » وقال مرة للربيع « ياأبا اسحق لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فانه دين » وكان الامام مالك اذا استنبط حكما يقول لاصحابه « انظروا فيه فانه دين وما من أحد الا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه الا صاحب هذه الروضة ـ يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولقد وددت الآن أني أضرب على كل مسألة قلتها برأيي سوطاً ولا ألقي رسول الله بشيء زدته في شريعته أو خالفت فيه ظاهرها »

فاذا كانت هذه قيمة الرأي الاجتهادي في نفوس الأئمة المجتهدين أنفسهم فكيف يسوغ لنا أن نتمسك بتلك الآراء تمسكا اعتقادياً أبدياً كما نتمسك بنصوص القرآن والسنة ؟ بل كيف يسوغ لنا أن نستقل فرقاً فرقاً ونتحيز طوائف طوائف ؟ تعمل الطائفة على إعنات أختها واذلالها وإيصال الأذى اليها الى حدّ أن كان الخوارج الذين خالفوا عليا رضي الله عنه في مسألة الرأي التحكيمي يرفقون بأهل الذمة ويحامون عنهم ثم يفتكون بالمسلمين وينتهكون حرماتهم ؟ ؟

ان الرأي الاجتهادي أو الرأي الفردي وهو المسمى في اصطلاح الاصوليين قياساً أمر ظني لا يصح لمسلم أن يلزم آخر به أو يكفره اذا خالفه فيه . واذا أردنا جعله قطعياً واجب الاتباع كان علينا أن نعرضه على مجتهدي الامة : وهم ولاة أمورها وأهل الرأي فيها . فمهما حكموا فيه واتفقوا عليه كان قولهم المسموع وحكمهم المتبع . ويسمى فعلهم هذا (اجماعاً) كما يسمى الحكم الشرعي الذي اتفقوا عليه مجمعاً عليه فالاجماع قطعي . ولذا يقدم على رأي الفرد الاجتهادي وتكون قيمته أو مرتبته تالية لمرتبة القرآن والسنة

روى عن عليّ رضي الله عنه أنه قال : « قلت يارسول الله الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن ولم تمض فيه منك سنة قال أجمعوا له العالمين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد »

فانظر كيف أرشدنا صلى الله عليه وسلم الى أن نجتمع للمشورة ثم نجمع على الحكم فيكون ذلك حائلا ما بيننا وبين الاختلاف والانقسام الممقوت

والظاهر أن هذا الارشاد من الشارع في لزوم الاجتماع للاجماع انما هو في الاحكام المتعلقة بالمصالح العامة وفي المسائل التي ترتبط بالامة رأساً . أما الشؤون الخاصة الفردية فالمرء يعمل برأي نفسه أو رأي غيره اذا لم يكن من أهل الاجتهاد

فالرأي أو الاجتهاد يشبه التمذهب أو هو التمذهب بعينه من حيث أن طبيعته التفريق والانقسام شيعا . لكنه لما لم يكن من الاجتهاد بد وهو طبيعي وضروري في البشر حذرنا الشارع من نتائجه الوخيمة التي هي التفرق والتخاذل وأرشدنا الى الاجتماع والاجماع اذ قال « اجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد » فكما كان من طبيعة الاجتهاد التفريق

كان من طبيعة الاجماع التأليف . فالاجماع من هذا القبيل كالدين حسبما شرحناه في الماضي

نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف والتنازع خشية الفشل والضعف لكنه من جهة ثانية قال «اختلاف أمتي رحمة» فكيف يكون الاختلاف حسناً وقبيحاً في آن واحد؟؟

كان الاختلاف رحمة لانه آية على حياة عقولنا وعدم استسلامنا للتقليد الضار. فاذا فقد نص الكتاب والسنة وارتأى احدنا رأياً لا يجوز لنا أن ننقاد اليه انقياداً أعمى من دون نظر وتأمل في دليله . حتى اذا ظهر لنا رأي آخر معزز بدليل أقوى من دليله اتبعنا هذا الاقوى . والا قلنا بالاول وتابعنا صاحبه عليه

فالاختلاف يوصلنا تواً الى الحقيقة التي هي ضالة كل مسلم . وأي رحمة أحسن من أن نصل الى الحقيقة ونعمل بها ؟ وأي خزي أكبر من أن يقول أحدنا القول فنطأطئ له رؤوسنا ونربط عليه قلوبنا وكثيراً ما يكون القول المذكور سخافة أو مخرقة تنافي أصل الدين ولا تنطبق على مقاصد الاسلام السامية ؟

شرع الاسلام للمسلمين (الاجتهاد) وجعل اختلافهم فيه من قبيل الرحمة لكنه أفهمهم انه دليل ظني فهو في المرتبة الاخيرة وأنه مظنة التفريق فشرع لهم أصلا آخر يسد خطى الاجتهاد ويجعله خيراً محضاً ويحقق فيه معنى الرحمة . وذلك الاصل هو (الاجماع) ويصح أن نسميه الاجتهاد الاجتماعي من حيث أن المجتهدين يجمعون فيه (ولو بالاكثرية) على الرأي الواحد فيكون اجماعهم عليه أقوى مما لو بقي رأي المجتهد قاصراً على صاحبه

وهو ما يسميه (الاجتهاد الفردي) فالاجتهاد الفردي في المصالح العامة منهي عنه وهو يؤدي الى التفريق وقيام الشيع .ومن ثمة كان الجدير بصاحبه أن لا يدعو الناس اليه ما لم يوازن بينه وبين آراء غيره بواسطة الاجتهاد الاجماعي فيتمحص الحق بسبب هذه الموازنة ويساعد ذلك على توحيد أمر المسلمين والتئام شمل الامة

قد يقول معترض ما دليلك على أن المجتهد مكلف بعرض رأيه الاجتهادي على غيره من الراسخين في العلم أو ما دليلك على أن الاجتهاد الفردي ينبغي أن يعزز بالاجتهاد الاجماعي ؟ فأقول في الجواب: الدليل ماورويته آنفاً من قوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب «اجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد» وان كنت أيها المعترض عريقاً في التقليد وطالبتني بدليل من أقوال الأئمة أنفسهم فدونك الدليل : قال صاحب الفتاوى السراجية «اتفق لابي حنيفة من الاصحاب مالم يتفق لغيره . وقد وضع مذهبه شورى ولم يستبد بوضع المسائل وانما كان يلقيها على أصحابه مسألة مسألة فيعرف ما كان عندهم ويقول ما عنده ويناظرهم حتى يستقر أحد القولين فيثبته أبو يوسف حتى أثبت الاصول كلها . وقد أدرك بفهمه ما عجزت عنه أصحاب القرائح»

وذكر الشعراني في الميزان «أن أبا حنيفة النعمان كان يقول لا ينبغي لاحد أن يقول قولا حتى يعلم أن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبله . وكان يجمع العلماء في كل مسألة لم يجدها صريحة في الكتاب والسنة ويعمل بما اتفقوا عليه فيها . وكذلك كان يفعل اذا استنبط حكماً فلا يكتبه حتى يجمع عليه علماء عصره فان رضوه قال لابي يوسف اكتبه»

ومن بحث عن أسباب تقهقر الامة الاسلامية وانحطاط شأنها كاد يحصرها فى الاختلافات المذهبية فان هذه الاختلافات أدت الى التنازع فالفشل فذهاب القوة

الاختلاف الذي هو رحمة تحول الى شر ونقمة علينا معشر المسلمين : وذلك لان المختلفين يختلفون فى الآراء ثم لا يرجعون الى الاجماع الذى جعله الدين وسيلة للألفة والاتحاد والذى يفيد اليقين كما يفيده نص الكتاب والسنة

رأى علماء الاسلام ما حاق بالامة من جراء اختلاف المجتهدين ثم رأوا كثيرين يدعون الاجتهاد وهم ليسوا منه ولا قلامة ظفر — رأوا كل ذلك فاستحسنوا أن يقولوا بسد باب الاجتهاد أو أن الاجتهاد سقط وجوبه عن الامة فى الاعصر الاخيرة ما دامت شروطه لم تتوفر فى أحد من المسلمين. طعنوا الاجتهاد هذه الطعنة النجلاء ولم ينسوا أخاه (الاجماع) فانهم أيضاً شرطوا له شروطاً صعبة المنال. ومن ثمة قالوا إنه لم يتفق للمجتهدين أن يجمعوا الا على مسائل معدودة . بل غلا بعضهم فذهب الى أنه لم يحصل اجماع قط ! !

فمن شروط الاجماع أن يتفق جميع المجتهدين الذين يعيشون فى عصر واحد على حكم من الأحكام. فاذا خالف أحدهم لا يكون اجماعا . ثم اذا لم يخالف بالنطق لكنه سكت أيعتبر سكوته مخالفة أم لا ؟ وأجابوا على ذلك بما لا فائدة من ذكره هنا. وأن أمر اجتماع مجتهدى العصور الاسلامية الماضية فى بقعة معينة عسير جداً . اذ كيف يحصى عددهم ؟ ومهما أحصيناهم يقال أنه قد يوجد غيرهم لم يبلغنا اسمه . ثم كيف نأتي بهم ؟ وأى قوة تبعث بهم من

مكامنهم الى مكان بعينه ؟ وقد لا يسمح بعض الملوك لعلماء مملكته أن يخرجوا منها الى غيرها من الممالك لعدم انتظام الامر وتوثق الروابط بين ملوك الاسلام .ولان المواصلات ووسائل الانتقال لم تكن متوفرة فى تلك الاعصر. ومحصل القول أن المجتهدين كثروا وبقوا متفرقين وجنت الامة ثمار هذا التفرق من دون أن يتيسر لها أن تنتفع بقوة (الاجتهاد الاجماعى) الذى شرعه الاسلام لاجل تخفيف شرور الاجتهاد الفردى

أما فى عصرنا الحاضر فيظهر من قرائن الاحوال وتضاعيف الاقوال ميل عقلاء الامة الى فتح باب الاجتهاد . والانتفاع باختلاف الآراء الذى عده الشارع رحمة لنا. وهم يقولون أن هذا الانقلاب في مقومات العمران الحديث وانتشار فن الطباعة وتداول الصحف والمجلات والتآليف وتقارب الامصار وتيسر أسباب المداولات والتنقلات وسهولة اجتماع العلماء بعضهم ببعض والتلقي عنهم ومراجعتهم فيما يشكل من أمور الدين كل هذا يساعد علي عود الاجتهاد ويجعل نفوس طلاب العلم له في استعداد

ولم يبق الا أن يقال: ان الاجتهاد يزيدنا مذاهب ويزيدنا فرقا ويزيدنا مشاغبات ويزيدنا عداوات فالأول أن يبقي باب الاجتهاد مسدوداً. ولكن يقال اننا بسهولة المداولات والمواصلات نتمكن من معرفة من فيه استعداد للاجتهاد فى الاقطار الاسلامية المختلفة . ثم نتمكن من جمعهم فى مكان خاص فلا ينفرد مجتهد برأيه ويدعو الى العمل بقوله من دون أن يعرضه على رفاقه المجتهدين وبذلك يتبين خطأه من صوابه ورشده من غيه

وقد نسهل الأمر على كارهي فتح باب الاجتهاد بطريق آخر فنقول: ان مجتهدى هذا العصر لا يمكن أن يأتوا بشيء جديد من عند أنفسهم . إذ أن

رأى الواحد منهم إنما هو رأى لمن سبقه من الأئمة المتقدمين. فالمجمع الديني انما يلتئم لاجل النظر فى تلك الاقوال المنسوبة لأئمة متعددين ثم يختار منها ماهو الانسب لنا والاعلق بمصلحتنا. والدين انما يدور تشريعه على محور المصلحة. ومهما حاول المحاولون وقاوم المقاومون فالاجتهاد لابد أن يكون. وذلك بما استجد في المسلمين من شؤون سياسية واقتصادية واصطلاحات عصرية وأطوار اجتماعية ليس لها مثيل في الاعصر الماضية أعصر الأئمة المجتهدين. فلم ينقل عنهم فيها الينا رأى فيجب علينا أن نطبق تلك المسائل الطارئة على قواعد ديننا بواسطة القوة الاجتهادية والمجامع الاجماعية

ذلك خير لنا من أن نعمل بتلك المسائل الطارئة عملا هو محض تقليد للشارعين المخالفين لنا فى الدين ونشعر في نفوسنا باننا بالعمل بها غير عاملين بشريعة خاتم الانبياء والمرسلين

والشواهد على الامور الطارئة كثيرة أقربها الينا تأسيس بنك اقتصادى في عاصمة الاسلام . ولا يحسن أن يكون قانونه مخالفاً وضعه لتعاليم الاسلام وما قرره الفقهاء الاعلام . فان هذه المخالفة تدعو الى تقلص أيدي المتدينين عن مساعدة البنك ومعاملته. ولو كان لنا مجتهدون ومجمع اجماعى تعرض عليه آراء أولئك المجتهدين لكان من المتيسر تطبيق جميع معاملات البنك على أصول الاسلام وقواعده الاساسية وان خالفنا فيها أحياناً ماقاله الفقهاء وارتآه المقلدون أو المجتهدون

اذ نحن على يقين من أن مجتهدي الأعصر الماضية لو كانوا فى زماننا لكان لهم وللاجتهاد شأن آخر غير شأنهم الأول. ناهيك ما كان من الامام الشافعى رضي عنه الذي كان له فى بغداد مذهب اجتهادي حتي اذا وفد على مصر غير

مذهبه واجتهد اجتهاداً آخر

وما ظنك بالامام الشافعى لو نشر من قبره اليوم فرأى مصر وطاف في الاسماعيلية والدوبارة ثم جاء الاستانة جال فى البك أوغلي وغلطه وتوجه من هناك الى اوربا ودرس أحوالها وتفحص أطوارها ؟؟

لاجرم أنه يكون له مذهب ثالث أشد انطباقا على مصلحة الاسلام والمسلمين .

ونلخص جميع ما تقدم فى الاجمال الآتي وهو : انه اذا تيسر لنا معشر المسلمين أن نسترد بضاعتنا ويقوم فينا مجتهدون أكفاء لممارسة الاستنباط والقياس فسوف لا يكون اجتهادهم « فرديا » بأن يقوم فى مصر مجتهد يلتف حوله جماعة . وفى الهند آخر يطيف به آخرون . وفي قازان ثالث يشايعه مشايعون . بل قد يكون اجتهادهم « اجماعيا » فاذا رأى أحدهم رأيا سواء استنبطه بنفسه أو قال انه لغيره من الأئمة الاقدمين لكنه يستحسن تطبيقه والعمل به اليوم لاسيما مايتعلق بالمصالح العامة وأمور السياسة والتشريع والاجتماع يعرض قوله على مجمع ديني كبير مؤلف من كبار علماء الاسلام ويكون اجتماعه فى مكة أو الاستانة أو مصر لكل سنتين أو ثلاث سنين مرة . وينتخب أعضاء هذا المجمع من قبل الامة باحدى طرق الانتخاب المعقولة وباتفاق الحكومات الاسلامية . وكل ماقرره هذا المجمع تصادق عليه الحكومات وتتعهد بالعمل به ويقلده المسلمون تقليدا . وهذا ما أردته بالاجماع الاجماعى . وبهذا الاجتهاد نكون جمعنا بين «التقليد» فلم نغضب الفقهاء وبين «الاجتهاد» فلم نغضب القرآن ولم نزدر العقل وبين «الاجماع» فلا نجعله اسما بلا مسمى ولا نفتخر بانه من أصول ديننا ثم نهمله أو نقول انه لم يوجد قط

أو لا يتيسر أن يوجد ونكون بهذا القول كأننا ننادي بان الاسلام يشرع أصولا لسعادتنا يستحيل العمل بها

قيام مجمع أو مؤتمر للمسلمين على هذه الصورة مفيد جدا فى انهاضهم ومجاراتهم لبقية الامم المحيطة بهم واقناع هذه الامم بان الدين الاسلامي دين اجتماعى مرن يلائم كل عصر وزمان وليس دينا وقتياً موضعياً خاصاً بزمان ومكان معينين كما كان قال عنه كرومر ولا يزال يقوله كثيرون من الضاربين على نغمته

هذا المجمع الديني ضرورى لاعادة نعمة الاجتهاد الى الامة فاننا بالاجتهاد يمكننا التوفيق بين الاصول العامة التي قررها الدين وبين الحاجات التى تتجدد للأمم الاسلامية على اختلاف الاعصار والامصار. وأما اذا حكمنا باقفال هذا الباب لم نكن جامدين على الدين الاسلامي كما يتوهم المتوهمون وانما نكون جامدين على أحكام جزئية وآراء فقهية استنبطها المجتهدون لحاجات زمانهم وقد بادت تلك الحاجات اليوم وخلفتها حاجات أخرى تستدعى تجديد النظر والاستنباط

هذا المجمع ضروري الحصول والامة الاسلامية تتطلبه بلسان حالها وكم طلبته بلسان كثير من أبنائها. وهو ان صعب علينا تحقيقه اليوم لقلة المال أو وهن فى عزائم الرجال أو لمقاومة المقلدين أولارتياب السياسيين فسوف يأتي وقت تسكن فيه الزعازع وتزول الموانع وتتوفر الذرائع

طبيعة الاسلام ومستقبله

ألقى السيد سعيد جوخو مسكى أحد علماء روسيا المسلمين بمدينة جنيف خطبة شائقة في (طبيعة الاسلام ومستقبله) باللغة الروسية وكان أحد فضلاء النزلاء الروسيين يفسر قوله باللغة الفرنسية . وهذا زبدة ما قال :

« أن أوربا المتمدينة اعتادت أن تلفت نظرها الى الاسلام والمسلمين من حين الى حين بدون قصد كلما سمعت نداء الحرب أو دعتها الى ذلك سياسة الاستعمار والاستثمار . ولم تعر أوربا الاسلام التفاتا حقيقاً الا حيث احتكت مصالحها الاقتصادية ببعض مشكلات السياسة

ولكن هذا الالتفات لا يبقي الا ريثما تجد لها مخرجا من مركزها الحرج أو تنجح في الحصول على حل يرضيها من الامة الاسلامية المعاندة!

واذا ماحدث في بعض ممالك الاسلام حادث عظيم مثل ظهور حركة جديدة أو رجل جديد يدعو الى الاتحاد والتقدم رأت دول الغرب أن سياستها تقضي عليها بدعوة تلك الحركة تعصباً أو دعوة الى الاتحاد الاسلامى (بانسلاميزم) والقول بان وراءها ماوراءها من الخطر الذى يتهدد المدنية والعمران !

ويظهر لنا ان أوربا لم تلحظ مطلقاً أن تلك الحركات هي بداية عهد اصلاح ورقي استدعته الاحوال . وقد يغلب على ظن من يمعن النظر أن أوربا تهمل الاسلام قصداً لانه لا يهمها تقدمه ورقى أممه بقدر مايفيدها تأخره وتقهقرهم. وذلك راجع الى مايمكنها الحصول عليه من المنافع كلما طال

نوم الامم التي تملك المزارع الخصبة والمتاجر الثمينة

على أن الواقفين على حياة الامم الاسلامية في الوقت الحاضر يعلمون انها فطنت الى أن هلاكها في رقادها. ولذا أخذت كلها منذ برهة في النهوض والسعي الى حد ان الفنون الجميلة التي كانت مكروهة فى عرف بعض المحافظين أصبح لها في بعض الممالك المكان الاول . بل ظهر فى أصحاب العقيدة المحمدية رجال يكادون يعادلون بعض متفنني الغرب. وهذا ولاشك من علائم عهد جديد يكاد يشبه عهد الاسلام فى الصدر الاول عهد الخلفاء العظماء الذين كانوا يفكون الاسرى مقابل علم ينقذونه أو فيلسوف يخلصونه عهد يعود فيه مجد الاسلام الذي ظهر في جميع فروع الحياة المادية والادبية حينما تفرغ السلاطين بعد الفتح وتدوين الدواوين وتعمير الامصار الى تشييد العمارات الفخمة والمساجد الجليلة كقصر الحمراء بالاندلس وجامع عمرو بالقاهرة والتاز بالهند

اننا نسائل أنفسنا نحن الذين نشهد اليوم مبادىء هذه النهضة هل للاسلام فى عهده الجديد أن يعطى الانسانية شبه ما أعطاها في القرون الاولى وهل يستفيد العالم من النهضة الجديدة بقدر ما استفاد من أمم الاسلام وهى فى فتوتها؟؟

أن الجواب على ذلك السؤال ليس سهلا على من لا يعرف الاسلام. والاجابة عليه تقتضي علما تاما بتاريخ هذا الدين ونشأته وتاريخ الامم التي دانت به وتاريخ المدنية العظيمة التي زهت وأزهرت في اكنافه . والواقف على تلك المعلومات وجدها يمكنه أن يعرف مقدار الحياة والقوة الكامنتين فى هذا الدين . ويسوءنا أن كثيرين من أهل الغرب يحسبون الاسلام دين

وعود عذبة وفاؤها فى جنة الفردوس . والحقيقة هى أن الاسلام يدعو المؤمنين الى حياتين: الأولى حياة أرضية غايتها أن يعيش الانسان فى أسعد عيشة مادية . والثانية حياة دينية أو سماوية غايتها أن يعمل الانسان ما فى طاقته من الخيرات ليستطيع أن ينال عليها خير الجزاء

ثم أن فى الاسلام من مبادىء الاشتراكية الحديثة والاعتراف بان الملك لله وحده وأن كل شيء زائل ماعدا ذاته وقدرته ما يقي المؤمنين شرور الفقر المدقع وما تجر اليه الفاقة من اقتراف الجرائم مما حار فى أسبابه علماء الغرب أنفسهم حين بحثوا فى علل المدنية الحديثة وليس له الا سبب واحد هو زوال التضامن بين أبناء الملة الواحدة . وهذا التضامن هو حجر الاساس فى الملة الاسلامية

غاية الاسلام التوحيد الحقيقى بين جميع عناصر الحياة ليتم الوفاق بين شؤون الانسانية. وهذا المبدأ العظيم الذي ينتهى بتوحيد الحياة هو ولاشك مستقبل الانسانية فى انحاء العالم أى مبدأ الاشتراكية المعتدلة مبدأ العدل والحق والمساواة المطلقة

لم يعرف الاسلام قط فروقا كالتي عرفتها العقائد الأخرى. والامم التي تدين بهذا الدين الحنيف لم تعرف بين عناصرها امتيازاً أو تفاضلا كالتفاضل فى شعوب الهند أو فى الامم الاوربية العريقة . ذلك لانه دين ديموقراطى لايعرف الفرق بين الحاكم والمحكوم الا فيما يضمن سيادة العدل. وكل ماطرأ على أممه من الطوارىء لم يكن ناشئاً عنه انما هو نتيجة المظالم. لذا نرى الامم الاسلامية التي أخذت باهداب المدنية الحديثة قد نجحت وفازت وأخذت فعلا تسابق الامم الأخرى التي سبقتها باجيال

أما عن مستقبل الاسلام فأقول أن موضع الامم الاسلامية بين أوربا المسيحية من جهة وبين آسيا الوثنية من جهة أخرى وأفريقية ينبئنا بأن ذلك الدين سيكون له الكلمة الاولى في مستقبل العالم» اه

الفلسفة والتاريخ

علم النفس

(تتمة البحث)

الشعور والمعرفة والارادة — التعقيد فى الحركات العقلية — النموّ والنشوء — العوامل المؤثرة في نشأة العقول — أدوار نشوء العقل —

الشعور والمعرفة والارادة — أما الشعور فتابع للأعصاب المحركة وهو حالة « التأثر » . والارادة تابعة للأعصاب الناقلة وهى حالة « التأثير » . والمعرفة حالة تتراوح بين هذين النقيضين لانها تأثير وتأثر في آن واحد

ثم أن هذه الحالات الثلاث في مناضلة مستمرة تجتهد كل واحدة منها أن تعلو على أختيها. فاذا غضب الانسان كان للشعور الغلبة. واذا قعد يدرس علم النفس مثلا كانت المعرفة أى الذهن أقوى العوامل وهكذا. ومن العجيب أنه يوجد في كل عقل من العقول حالة من هذه الحالات أقوى سلطانا وأكبر تسلطا عليه. ولذلك نجد من بين الناس المتهور الكثير « الانفعال » والعالم الواسع « المعرفة » والاطلاع والثابت الحازم القوى « الارادة »

ولا شك فى أن كمال العقل لا يكون الا متى تساوت فيه هذه

الحالات وتعادلت وتوازنت كما تتساوى الثلاث دوائر المحصورة فى الدائرة الكبرى المرموز بها لحالات العقل . أما الطفل فانه بفطرته مستكمل الحواس تقريباً ولكنه ضعيف المعرفة والارادة . فاذا رمزنا لحالات عقله الثلاث دوائر محصورة فى دائرة كبيرة كما بينا لم تكن هذه الثلاث دوائر بمتساوية كما تتساوى فى العقل الكامل. بل تكون الدائرة المرموز بها للشعور أكبر من الدائرتين الأخريين المرموز بهما للمعرفة والارادة . والقائد الجبار يكون قوى الارادة فتكون الدائرة المرموز بها للارادة أكبر من الدائرتين الأخريين المرموز بهما للمعرفة والشعور. والمكب على درسه قلما كان جلدا ضليعا فتكون الدائرة المرموز بها للمعرفة أكبر من الدائرتين الأخريين المرموز بهما للشعور والارادة

التعقيد في الحركات العقلية — أن من الصعوبات الكبيرة فى دراسة الحالات العقلية تعقيدها واشتباك بعضها ببعض بدرجة لا يمكن استخلاص واحدة منها بمفردها . بل كلما حاول الانسان ذلك حتي فى أبسط الحالات وجدها مرتبطة بكثير غيرها كما لاحظنا ذلك في المثال المتقدم . وهي حالة كنا نظن أنها مجرد شعور محض فوجدنا بالفحص ان للارادة والمعرفة دخلا فيها أيضاً. ومن السهو أو على سبيل التجريد أن ننظر الى كل من هذه الحالات كأنها متقطعة عن الباقي مستقلة بنفسها . كما أنه أيضاً على سبيل التجريد أن يعتبر الانسان « وزن» أي كتاب كأنه شيء آخر على حدته خارج عن الكتاب نفسه والحقيقة أنهما متلازمان

الانتباه والتمييز والتشبيه من العوامل الضرورية للحالات العقلية أن الانسان لا يقول بأن هذا لون أحمر مثلا الا بعد أن « ينتبه »اليه

« لتميزه » من بقية الألوان الأخرى ثم « يشبهه » بلون كان يعرف أنه أحمر. فاذا كان كل شيء في الوجود أحمر اللون فانه لا يوجد لدى الانسان ما يقارن أو يميز به ذلك اللون الاحمر المنطبع في مخيلته — بل ربما لا يخلق في الذهن ذلك اللون. بمعنى أنه اذا كانت جميع الأشياء تؤثر في رجل بحالة واحدة فان ذلك الرجل لا يكون له حس ولا معرفة ولا يفقه معنى التمييز والتفريق والمقارنة وهي التي تكسبه الخبرة والتجارب. والخلاصة أنه اذا كانت جميع الأشياء في العالم تعرض على العقل فتؤثر فيه بحالات كلها متشابهة فان العقل لا يميز بعضها من بعض بل يكون الوجود أمامه فارغا خاويا

وانما نحن نعقل أمراً من الأمور متى « انتبهنا » اليه و « ميزناه » عن غيره « وشبهناه » بأمر آخر مثله كان قد مرّ علينا. وأن أمراً من الامور لا يستطيع الناس تمييزه ولا تشبيهه بأمر سبق لهم الفصل فيه والحكم عليه لمن المستحيل. فالتشبيه والتمييز معناهما القياس بشيء فات. من ذلك نرى أن جميع المعلومات متسلسلة مرتبطة بعضها ببعض ولا معنى أبداً لمعلومات مبتورة مقطوعة لا علاقة لها بأخرى

النمو والنشوء — النمو الطبيعي هو زيادة في جسم الشيء أو حجمه. ولكن النشوء الطبيعي هو التغير في تراكيبه على نمط يحدث شيئاً آخر مخالفا للأول فالبيض لا « ينمو » وانما « ينشأ » منه الافراخ

كذلك النمو العقلي فانه الزيادة في معلومات الانسان. ولكن النشوء العقلي هو المعروف بتثقيف الأذهان وتقويم العقول بصقل ما تحويه من المعلومات. فالاحساس والفهم والادراك كلها مما يساعد على نمو العقل ولكن التخيل والمحاجّة والتعقل هي أسباب تثقيف العقل

ومن ذلك اصطلحوا على أن التعليم هو تغذية العقول بلبان المعلومات وبث المعارف لأنه سبب النمو العقلي بخلاف التربية فانها صقل العقل وشحذ حواسه وتهذيبه وتثقيفه

العوامل المؤثرة في نشأة العقول — اذا اختبرنا ثلاثة أطفال من أسرة واحدة ومنبت واحد وقارناهم بثلاثة آخرين من أسرة غير الاولى ومنبت مخالف للأول لا بد أن نلاحظ في أخلاق وعقول أطفال الأسرتين اختلافا كبيراً وميزات عديدة كما نلاحظ نفس ذلك التباين في ملامح وجوههم وشكل أجسامهم. وذلك لأن الأبناء يرثون عن الآباء كثيراً من خلالهم وأطوار عقولهم فتظهر فيهم جلية واضحة كما تظهر سيماهم على وجوههم وأجسامهم. من ذلك ترى أن الوراثة عامل قوي في نشأة العقول

ولو أننا بعد ثلاثين سنة أتينا الى اثنين من هؤلاء الاطفال وهما من أسرة واحدة ثم اختبرناهما وقد صار أحدهما جندياً والآخر طالب علم لالفينا الأول نشيطاً شجاعا والآخر قعدة جباناً يميل الى الراحة والعزلة. وبما أن الطفولة كانت واحدة في هذين الرجلين فلاشك في أن التغير الذي طرأ عليهما قد أنشأه نوع الحياة التي خاضها كل واحد منهما والمواقع التي شاهداها والناس الذين احتكوا بهما وعاشروهما. ومن ذلك نرى أيضا أن (البيئة) من أقوى العوامل تأثيراً في (نشأة) العقول

وتنقسم هذه العوامل المؤثرة في نشأة العقل الى قسمين :

(ا) الاستعداد الطبيعي الذي خص به الله سبحانه وتعالى كل عقل على حدته فان هذه المواهب الربانية المميزة لعقول البشر هي سبب التفاوت في مكانة الناس من جهة العلم والارادة والشعور

(ب) العوامل الوراثية وهى التي لم يكتسبها الانسان من الحياة بل اكتسبها بوراثتها عن آبائه وأجداده بالنسبة لصفات فطرية فى تراكيبه العصبية وهذه ميول أكثر ما هي عوامل. وتشاهد فى مجموع الامة أكثر ما تشاهد في عقل الفرد

والنوع الأول وهو العوامل الطبيعية ينقسم كذلك الى قسمين :

(ا) البنية الطبيعية . وهى الاستعداد الطبيعي للجسم لان الاخير من أكبر العوامل تأثيراً فى العقل اذ الجسم الصحيح داعية العقل الصحيح كما أن الجسم السقيم داعية العقل السقيم

(ب) البيئة الاجتماعية . ولو علم الآباء تأثير هذه فى عقول أبنائهم لارتقوا بحياتهم المنزلية وعنوا بها العناية اللازمة. ولكن الآباء رعاهم الله لا يعرفون واجبهم تجاه أبنائهم. ولو عرفوه تراهم لقصورهم عاجزين عن القيام به . من ذلك كان جل ما يعمله المعلم في المدارس هو ازالة العيوب التي تلحق باخلاق التلاميذ وتقويم الأود الذي يرى فى عقولهم بسبب معايشهم المنزلية. ولهذا تجد عبأه أثقل على كاهله مما لو شاطره الآباء فى « تربية » الأولاد وتثقيف عقولهم

أدوار نشوء العقل ـ (الدور الاول) يبتدئ من السنة الأولى الى السابعة من العمر وفيه يكون الطفل ألعوبة الطوارئ أسير البيئة قليل التأثير كثير التأثر قوي الادراك ضعيف التفكير مشغوفاً بالخيال شديد الأنانية سريع الافعال قريب السكينة عديم الارادة فى البداية . ولكن لا يلبث أن يلاحظ عليه فى أواخر هذا الدور أنه يعمل بعض الأشياء بمحض ارادته ويتحاشي البعض الآخر بمجرد اختياره

(الدور الثاني) يبتدئ من السابعة الى الرابعة عشرة وفيه يقل تأثره شيئا فشيئا بل يأخذ فى الامعان بنفسه والتأثير فيما حوله ويصير من القوى الفعالة فى البيئة الطبيعية الموجود فيها بدل أن كان مجرد هدف لها وما يحصل عليه من المعلومات بواسطة الحواس يستقر فى الذاكرة وهى فى هذا الدور فى أقوى مظاهرها ثم يكون قد بدأ فى المحاجة واقامة الدليل فيصوغ ما يقتبس من المعلومات فى قالب أجمل وأكمل ويضيق الخيال بما اكتسب من الخبرة والتجارب ثم يأخذ فى التعويل على أحكامه وقضاياه . وفي أواخر ذلك الدور تستحكم فيه قوة الجدل والبرهان ويحكم عقله هواه ويكبر شعوره وتقوى ارادته وكثيراً ما تنمو الى اصرار وعناد

محمد حمدى

علم الاصول

درس فيه

باب الاجماع

الاجماع هو اتفاق طائفة من المجتهدين فى عصر من الاعصار على حكم شرعى. والمجتهد هو من بذل وسعه فى استنباط حكم شرعى من كتاب أو سنة أو قياس . والحكم الشرعى هو الوجوب كالذى يستنبط من (أقيموا الصلاة). والندب وهو ما أثيب على فعله ولم يعاقب على تركه كاستحباب ركعتي الضحى . والكراهة وهى ما يثاب على تركها ولا يعاقب على فعلها

كأكل الثوم والبصل وكالصلاة مع حقن البول والغائط وكترك واجب من واجبات الصلاة ومثل السورة أو الآية عقب الفاتحة . والتحريم وهو مايثاب على تركه ويعاقب على فعله كالزنا وشرب الخمر والقتل وترك الصلاة والصوم

وقولنا فى التعريف فى «عصر من الاعصار» يصدق على عصر الصحابة رضي الله عنهم. فانهم اجتمعوا فى عصر واحد على حكم شرعى مثلا كاعطاء بنت الابن السدس مع البنت الصلبية وكأعطاء الأم ثلث الباقي مع الأب وأحد الزوجين كأن يموت الميت عن ابنته وابنة ابن ابنه وعن أبيه فى الحالة الأولى. ويموت الميت عن زوجته وأمه وأبيه. أو تموت الميتة عن زوجها وأمها وأبيها فى الحالة الثانية. وكجلد شارب الخمر ثمانين جلدة. وأجمع الصحابة رضي الله عنهم على تلك الاحكام فلا يسع من أتى بعدهم من الأئمة مخالفة هذا الاجماع ولم يرد به كتاب ولا سنة. وقد أجمع التابعون وتابعو التابعين وهم الأئمة الاربعة رضي الله عنهم على أحكام شرعية وصار اجماعهم حجة على من بعدهم . وباب الاجتهاد مفتوح الى يوم القيامة بشرط تحقق شروطه فى المجتهد وهى أن يكون حائزاً لفهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولمعرفة الصحيح منها والضعيف والموضوع والناسخ والمنسوخ وعارفا بالعلوم العربية واللغة. وأما قول من قال ان الاجماع لا يتصور من التابعين وتابعى التابعين لقد طرق المواصلات فيما بينهم فهو وهم . فان الاجماع لا يتوقف على ما ذكر بل يحصل بسياحتهم فى الارض . فقد أخذ الامام الشافعى رضي الله عنه العلم عن الامام مالك بالمدينة وسافر اليه من مكة . وأخذ ذلك الامام عن محمد بن الحسن صاحب الامام أبي حنيفة وأخذ الامام أحمد بن حنبل عن الامام

الشافعى . ألا ترى أن الامام البخاري رضي الله عنه كان من شأنه أنه لو بلغه أن رجلا يحفظ حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أية بلدة كان يسافر اليه لتلقي الحديث عنه ولو كان على مسيرة شهر منه ؟؟

(قال الشافعى) رحمه الله تعالى قال لى قائل قد فهمت مذهبك فى أحكام الله عز وجل ثم أحكام رسوله صلى الله عليه وسلم وأن من قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن الله قبل . لان الله افترض طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقامت الحجة بما قلت بأن لا يحل لمسلم علم كتابا أو سنة أن يقول بخلاف واحد منهما. وقد علمت أن هذا فرض الله عز وجل فما حجتك فى أن تتبع ما اجتمع عليه الناس مما ليس فيه نص ولم يحكوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أترعم ما يقول غيرك أن إجماعهم لا يكون أبداً الا على سنة ثابتة وان لم يحكوها ؟ (فقلت) له أما ما أجمعوا عليه فذكروا أنه حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكما قالوا ان شاء الله تعالى. وأما ما لم يحكوه فاحتمل أن يكونوا قد قالوه حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل غيره . فلا يجوز أن نعده له حكاية لأنه لا يجوز أن يحكى الا مسموع قطعاً أو ظناً . وأما مجرد الاحتمال بانه سمع عنه صلى الله عليه وسلم فلا يفيد لأنه شك فى السماع والسماع مع الشك لا يعتد به والفرق بين الظن والشك أن الأول ادراك الطرف الراجح والثانى ادراك الطرفين على حد سواء ان حكى أحد (هكذا فى بعض النسخ وفى أخرى ولا يجوز أن يحكى أحد الخ) شيئاً بتوهم يمكن فيه غير ماقال فكنا نقول بما قالوا به اتباعا لهم ونعلم أنهم اذا كانت سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعزب عن عامتهم وقد تعزب عن بعضهم ونعلم أن عامتهم لا تجمع على

خلاف لسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا على خطأ ان شاء الله تعالى (وجواب اذا محذوف يدل عليه ماقبله أى فيجب علينا اتباعهم فيماقالوه) (قال) فهل من شيء يدل على ذلك ويسنده؟ (فقلت) أخبرنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال «نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم العمل لله تعالى ونصيحة المسلمين ولزوم جماعة المسلمين» وهذا عام يشمل لزوم جماعتهم فى الصلاة وفى الرأي الذى أجمعوا عليه ـ وأتى به هنا لاثبات وجوب اتباع رأيهم ـ فان دعوتهم تحيط من ورائهم (الدعوة هى التي تكون للهداية بسبب الاقتداء بهم فى الصلاة أو في اتباع الرأي ومعني أنها تحيط من وراءهم أي تشمل من وراءهم فى وجوب العمل) فكما أنه يجب العمل عليهم برأيهم يجب العمل علي غيرهم بسبب اتباعهم سواء كانوا فى عصرهم أم لا أما احاطتها من ورائهم فى الصلاة فبحصول فضل وثواب الجماعة لهم) (قال الشافعى) رحمه الله تعالى أخبرنا سفيان بن عبيد الله بن أبي لبيد عن سليمان بن يسار عن أبيه أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قام بالجابية خطيباً فقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا كقيامي فيكم فقال أكرموا أصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتي أن الرجل ليحلف ولا يستحلف ويشهد ولا يستشهد

ألا فمن سره أن يسكن بحبوحة الجنة (أي وسطها) فليلزم الجماعة (أي في الصلاة أو فى الرأي) فأن الشيطان مع الفذ وهو

من الأثنين أبعد ولا يخلون رجل بامرأة فأن الشيطان ثالثهما. ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن (قال الشافعى) رحمه الله تعالى (قال) فما معني أمر النبي صلي الله تعالى عليه وسلم بلزوم جماعتهم (قلت) لا معني الا واحد (قال) وكيف لا يحتمل الا واحداً (قلت) اذا كانت جماعتهم متفرقة فى البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم جماعة أبدان (أي أجسام) قوم متفرقين وقد وجد أن الأبدان تكون مجتمعة من المسلمين والكافرين والأتقياء والفجار فلم يكن فى لزوم الأبدان معنى لانه لا يمكن ولأن اجتماع الأبدان لا يصنع شيئاً فلم يكن للزوم جماعتهم معنى الا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما. ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم ومن خالف ما تقول به فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها وانما تكون الغفلة فى الفرقة. فأما الجماعة فلا يكون فيها كافة غفلة عن معنى كتاب الله تعالى ولا سنة ولا قياس

(قال الشافعي) رحمه الله تعالى فقال فمن أين قلت يقال بالقياس فيما لا كتاب فيه ولا سنة ولا اجماع (أي فيما لا حكم كتاب فيه ألخ) وانما القياس نص خبر لازم (أي وانما الحكم الثابت بالقياس نص خبر لازم) كحرمة النبيذ فأنها حكم شرعى ليس فيها كتاب ولا سنة ولا اجماع وانما فهمت من خبر الكتاب وهو (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) وذلك أن حرمة الخمر علقت بالأسكار وقد وجد الأسكار فى النبيذ فتتعدى الحرمة من الخمر الى النبيذ فتبين أن الحكم المذكور وهو حرمة النبيذ ليس مدلولا عليه بطريق المنطوق وانما هو مفهوم بطريق العلة واللزوم وهو معنى القياس (قلت) لو كان القياس

نص كتاب أو سنة (أي منطوق نص كتاب ألخ) قيل في كل ما كان فيه نص كتاب هذا حكم الله فى كتابه وفى كل ما كان فيه نص سنة قيل هذا حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يُقل له قياس (قال) فما القياس أهو الاجتهاد أم هما متفرقان (قلت) هما اسمان لمعنى واحد (قال) وما جماعهما (أي اجتماعهما) (قلت) كل ما نزل بمسلم فيه حكم لازم أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة وعليه (أى وعلى المسلم) اذا كان فيه بعينه حكم اتباعه واذا لم يكن فيه بعينه طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد والاجتهاد القياس (قال) أفرأيت العالمين اذا قاسوا على احاطة منهم من أنهم (من أنهم بيان لمحذوف تقديره على شيء من أنهم والمحذوف متعلق بأفرأيت العالمين) أصابوا الحق عند الله تعالى (أي فى الواقع ونفس الامر) (قلت) وهل يسعهم أن يختلفوا فى القياس (أى فاذا وسعهم الاختلاف فلا يمكن أن يصيب الجميع الحق عند الله تعالى والواقع عنده لان الحق واحد عنده تعالى) وهل كلفوا كل أمر من سبيل واحد أو من سبل متفرقة (أي طرق متفرقة فهذا يرى العلة فى الحكم كذا وآخر يرى فيه علة أخرى وهكذا فلا يلزم أن يصيب الجميع الحق كما ذكرنا) وما الحجة فى أن لهم أن يقيسوا على الظاهر دون الباطن (أي فلو كان لهم أن يقيسوا على الظاهر دون الباطن لامكن اصابتهم جميعاً الواقع ونفس الامر ولكن ما المانع من أن لهم القياس على الباطن أيضاً) وأنه يسعهم أن يتفرقوا (والسائل يسلم أن يسعهم التفرق) وهل يختلف ما كلفوا فى أنفسهم (أى هل يختلف الحكم الذي كلف الأمام به بان اجتهد واستنبطه بالقياس فيكون خاصاً به أو يكون عاماً ساريا عليه وعلى غيره من المسلمين القاصرين عن الاجتهاد بل

الحكم عام) وما كلفوا في غيرهم ومن الذي له أن يجتهد فيقيس في نفسه دون غيره (أى فيكون الحكم الذى يستنبطه باجتهاده خاصاً به ولا يجوز أن يفتي به وهو الذي توفرت فيه شروط الاجتهاد الخاص مثل مجتهدى المذهب كاصحاب الأئمة الاربعة فان لهم القياس لنفسهم دون غيرهم ويجوز لغيرهم مع ذلك أن يأخذ به نظراً لكونه قول امام وانما رجع عنه في بعض المسائل ورجح عندهم وقياسهم الذى يكون لخاصة أنفسهم فلا يسري على غيرهم هو الذى لم يكن أصله رأياً للامام بل رأيا لهم والذى له أن يقيس في نفسه وغيره (قال الشافعى) رحمه الله تعالى فقلت له العلم من وجوه منها احاطة فى الظاهر والباطن (أى يكون مطابقا للواقع فى الظاهر والباطن) ومنه حق فى الظاهر (وأما الباطن فيه فلا اطلاع لنا عليه) فالاحاطة منه (أي فالحق منه ظاهراً وباطناً) ما كان نص حكم الله تعالى (بان يكون مأخوذاً من الكتاب لحكم غسل الوجه واليدين ومسح الرأس وغسل الرجلين بآية الوضوء وهي (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم) الى آخرها او سنة لرسوله صلى الله عليه وسلم نقلتها العامة عن العامة (بان تكون متواترة كحديث البينة على من ادعى واليمين على من أنكر) فهذان السبيلان اللذان يشهد بهما فيما أحلّ أنه حلال وفيما حرّم أنه حرام وهذا الذى لا يسع أحداً عندنا جهله ولا الشك فيه وعلم الخاصة سنة من خبر الخاصة (وهي الاحاديث غير المتواترة كحديث لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وغير المتواتر هو خبر الواحد) تعرفها العلماء ولا تكلفها غيرهم (بمعنى أنه لا يعرف تخريجه الا العلماء دون غيرهم) وهى موجودة فيهم أو فى بعضهم بصدق الخاص المخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وهذا

اللازم لأهل العلم أن يصيروا اليه وهو الحق فى الظاهر (وانما سماه الأمام رضي الله عنه حقاً فى الظاهر لانه ظني يحتمل الخطأ) كما نقبل بشاهدين وذلك حق فى الظاهر وقد يمكن في الشاهدين الغلط . وعلم اجماع وعلم اجتهاد بقياس على طلب اصابة الحق فذلك حق فى الظاهر عند قائسه لا عند العامة من العلماء ولا يعلم الغيب فيه الا الله تعالى واذا طلب العلم فيه بالقياس فقيس بصحة اتفق القائسون في أكثره وقد نجدهم يختلفون (أى فيما قيس بصحة) والقياس من وجهين (أحدهما) أن يكون الشيء فى معنى الأصل (أى بان تكون علة الأصل موجودة فيه (أى فى الأصل) كقياس النبيذ وهو منبوذ التمر الذي غلى واشتد ورمى بالزبد على الخمر وهو عصير العنب الذى غلى واشتد ورمي بالزبد وهى الاسكار) فلا يختلف القياس فيه وأن يكون الشيء له فى الاصول أشباه فذلك يلحق بأولاها به وأكثرها شبهاً فيه (أى وأن يكون المقيس عليه فرداً من أفراد الاصول أى المقيس عليها له علل كثيرة الى آخره) وقد يختلف القائسون في هذا (قال) فأخبرني ما أعرف به العلم من وجهين أحدهما احاطة بالحق في الظاهر والباطن والآخر احاطة بحق فى الظاهر دون الباطن مما أعرف (قلت) أرأيت اذا كنا فى المسجد الحرام «أي بمكة» نرى الكعبة أكلفنا أن نستقبلها بأحاطة «أي ظاهراً و باطنا لان القبلة مشاهدة عياناً» قال نعم قلت وحين فرضت علينا الصلوات والزكاة والحج وغير ذلك أكلفنا الاحاطة فى أن نأتي بما علينا بأحاطة (لثبوتها بالكتاب والسنة المتواترة وذلك بأن نأتي بها متلبسة بأركانها وواجباتها وسننها ومندوباتها فالاولى كقراءة الفاتحة والركوع والسجود في الصلاة والثانية هي عين أركانها عند الامام الشافعي رضي الله

عنه وعن ابي حنيفة رضي الله عنه هي كالتشهد الأول والثانى وقراءة السورة عقيب الفاتحة والثالثة كالتكبير فى الخفض والرفع والتسمع أى قول المصلي سمع الله لمن حمده والرابعة لنظر المصلي الى مكان السجود عند القيام أو الى حجره فى حالة القعود وعدم الالتفات يمنة ويسرة) (قال) نعم قلت وحين فرض علينا أن نجلد الزانى مائة ونجلد القاذف ثمانين ونقتل من كفر بعد اسلامه ونقطع من سرق أكلفنا نفعل هذا بمن ثبت عليه بأحاطة (أى ظاهراً وباطنا بالاقرار أو بالبينة والتزكية والسؤال عن حالهم باطنا) حتى نعلم أنا قد أخذنا منه «أي بحق» (قال) نعم (قلت) واستوى ما كلفنا فى انفسنا (وذلك كالعلوم التي يستنبطها الأئمة ولا يدركها الا هم فان التكليف بها يستوي فيه المستنبط وغيره كالمقلدين) وغيرنا اذا كنا ندركه من انفسنا بأنا نعلم منها مالا يعلم غيرنا ومن غيرنا مالا يدركه علمنا عياناً كأدراكنا العلم فى أنفسنا (قال) نعم قلت وكلفنا فى أنفسنا أينما كنا أن نتوجه الى البيت بالقبلة (قال) نعم قلت أفتجدنا على احاطة من أنا قد أصبنا البيت بتوجهنا قال أما كما وجدتكم حين كنتم ترون البيت فلا «أى فلا تكون الاحاطة عند الغيبة مثل الأحاطة عند رؤية البيت» وأما أنتم فقد أديتم ما كلفتم قلت والذى كلفنا فى طلب العين المغيب غير الذي كلفنا في طلب العين المشاهد «وذلك لان التكليف فى المغيب بالأصابة ظاهراً لا باطنا والتكليف في المشاهد بالأصابة ظاهراً وباطناً» (قال) نعم قلت وكذلك كلفنا أن نقبل عدل الرجل على ما يظهر لنا منه وننا كحه ونوارثه على مايظهر من اسلامه (قال) نعم قلت وقد يكون غير عدل فى الباطن (قال) قد يمكن هذا فيه ولكن لم يكلفوا فيه الا الظاهر قلت وحلال لنا أن ننا كحه ونوارثه ونجيز شهادته ومحرم علينا دمه

بالظاهر وحرام على غيرنا أن علم منه أنه كافر الا قتله ومنعه المناكحة والوارثة
وما أعطيناه (قال) نعم قلت ونجد الفرض علينا في الرجل الواحد مختلفاً على
مبلغ علمنا وعلم غيرنا قال نعم وكلكم يؤدي ماعليه على قدر علمه قلت فهكذا
قلنا لك فيما ليس فيه نص حكم لازم وانما نطلب باجتهاد وقياس وانما كلفنا
فيه الحق عندنا (قال) أفتجدك تحكم بامر واحد من وجوه مختلفة قلت نعم
واذا اختلفت أسبابه (قال) فاذكر منه شيئاً قلت قد يقر الرجل عندى
على نفسه بالحق أو لبعض الآدميين فأخذ باقراره ولا يقر فأخذ ببينة تقوم
عليه ولا تقوم عليه بينة فيدعى عليه فأمره بأن يحلف ويبرأ فيمتنع
فأمر خصمه بأن يحلف وأخذه بما حلف عليه خصمه اذا أبى اليمين التي تبرئه
ونحن نعلم أن اقراره على نفسه لشحه على ماله وأنه يخالف ظلمه بالشح عليه
أصدق عليه من شهادة غيره لان غيره قد يغلط ويكذب عليه وشهادة العدول
عليه أقرب من الصدق من امتناعه عن اليمين ويمين خصمه وهو غير عدل
فاعطى منه بأسباب بعضها أقوى من بعض (قال) هذا كله هكذا غير أنا
اذا نكل اليمين أعطينا منه بالنكول (قلت) فقد أعطيت منه بأضعف مما
أعطينا منه (قال) أجل ولكني أخالفك فى الاصل (قلت) وأقوي
ماأعطيت به منه اقراره قال وقد يمكن أن يقر بحق لمسلم ناسياً أو غالطا فأخذه
به (قال) أجل ولكنك لم تكلف الا هذا (قلت) أفلست تراني كلفت الحق
من وجهين أحدهما حق باحاطة فى الظاهر والباطن والآخر حق بالظاهر
دون الباطن (قال) بلى ولكن هل تجد في هذا قوة بكتاب أو سنة
(قلت) نعم ما وضعت لك مما كلفت فى القبلة وفى نفسي وفى غيري
قال الله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) فآتاهم من علم ما شاء

وكما شاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقال عز وجل لنبيه عليه
الصلاة والسلام يسألونك عن الساعة أيان مرساها (أى وقتها) فيما
أنت من ذكراها (أى لم أنت تذكرها) الى ربك منتهاها أخبرنا سفيان
عن الزهرى عن عروة قال لم يزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسأل
عن الساعة حتى أنزل الله عز وجل فيم أنت من ذكراها فانتهى (قال الشافعي)
رحمه الله تعالى وقال الله عز وجل قل لا يعلم من فى السموات والارض
الغيب الا الله وقال تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى آخر
السورة (قال الشافعي) رحمه الله تعالى فالناس متعبدون بان يقولوا ويفعلوا
ما أمروا به وينتهوا اليه لا يجاوزونه لانهم لم يعطوا أنفسهم شيئاً انما هو
عطاء الله تعالى فنسأل الله تعالى عطاء مؤديا لحقه موجباً لمزيده

محمد رأفت

بنظارة المعارف

الحوادث والأجيال

صحيفة من تاريخ

القضاة والنواب

اطلعنا على بحث ضاف بعنوان (القضاة والنواب) بقلم حضرة شكري افندي العسلي الكاتب العامل في رصيفتنا المقتبس فآثرنا أن ندرج ههنا بعضه قال الكاتب

أنشأت هذه المقالات بعد أن طالعت مقدمة ابن خلدون وحاشية ابن عابدين وتكملته والأشباه والنظائر والأحكام السلطانية وتاريخ الطبري وتاريخ الكامل لابن الأثير ورحمة الأمة في اختلاف الأئمة والميزان للشعراني وسراج الملوك وغيرها. ولذلك أرجو ممن وجد غرابة في بعض أقوالي أن يرجع الى هذه الكتب المهمة

القضاء لغة : الحكم ويجيء بمعنى الفراغ والاداء . وأما القضاء شرعا فهو فصل الخصومات وقطع المنازعات الخ

كان قضاء النبي صلى الله عليه وسلم وحياً يوحى (لا ينطق عن الهوى) ولذلك لم يكن قضاء في زمانه وفي مقر نبوته لانه كان يأتي بالحكم او يحكم مثلما يوحى اليه. غير أنه عليه السلام لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن أرسله اليها عاملا وقاضيا وبعث علياً الى جهة اليمن عاملا وقاضياً أيضاً. فكان أمر القضاء ممتزجا بالامارة في زمان النبوة . ولما صار أبو بكر الصديق رضى الله عنه خليفة قال له أبو عبيدة أنا أكفيك المال وقال عمر أنا أكفيك القضاء فمكث عمر سنة ولم يخاصم اليه أحد فكان عمر أول قاض في المسلمين

ولما تولى الخلافة وأدرك أن توسع أمر الفتح وكثرة الاشتغال بالسياسة

يؤخره عن القيام بالقضاء ولي أبا الدرداء معه في المدينة وشريحاً في البصرة وأبا موسى الاشعري في الكوفة وكتب له كتابه المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاة وهي مستوفاة وفيه يقول :

« أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادّعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرّم حلالا . ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الأمثال والأشباه وقس الأمور بنظائرها واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة امداً ينتهي اليه فان احضر بينة أخذت له بحقه والا استحللت القضية عليه فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعماء . المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً في حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا في نسب أو ولاء فان الله سبحانه عفا عن الأيمان ودرأ بالبينات واياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم . فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذكر والسلام »

وكان الخلفاء الراشدون يباشرون أمر القضاء بأنفسهم ويقلدون القضاء عمالهم مع الامارة. ولما ازداد الفتح واتسعت الممالك وتوفرت الأمور السياسية وكثر الاشتغال بها وصارت المدافعة عن الاوطان ذات بال وعظم أمر الجهاد ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظم العناية به أخذوا يولون القضاء غيرهم

تخفيفا على أنفسهم غير أنهم كانوا يقلدون أهل عصبيتهم بالنسب ومواليهم ولا يقلدونه من بعد عنهم

وكانت وظيفة القاضي في صدر الاسلام محصورة في الفصل بين الخصوم فقط ثم اتسعت. وحينما تفرد الخلفاء بالسياسة صار لهم مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفه وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الأيامى عند فقد الأولياء على رأي من رآه والنظر في مصالح الطرقات والأبنية وتصفح الشهود والأمناء والنواب وتحقيق أحوالهم ليحصل له الوثوق بهم. وقد كان الخلفاء من قبل يخولون القاضي النظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدين

وقد بلغ منصب القضاء مقاما عاليا وكان في مقر الخلافة قاض يقال له قاضي القضاة. وكانت ولايته عامة. وكان في كل مدينة بل في كل جهة من بغداد قاض لكل مذهب وقاض في المدن الكبرى. وكان قضاة مخصوصون ينظرون في مخاصمات النساء فقط

كان الخلفاء الأمويون والخلفاء العباسيون في أول أمرهم لا يولون القضاة الا أهله. وكانوا يرغبون في علم القاضي وعقله وفضله وكمالاته ويولون القضاء للمعتزلي والظاهري والشافعي والحنفي والحنبلي والمالكي وكان بين القضاة من مزج المذهبين في خطته. ولما تسلط المماليك على خلفاء بني العباس وصار لهم الأمر والنهي وأصبحوا سلاطين مطلقين في مقر الخلافة أخذوا يتداخلون في القضاء مع أنه من حقوق الخلافة الصريحة. وصاروا يولون من

يشاؤون فأضاعوا حقوق الله وحقوق عباده وهتكوا حرمة الدين

ثم ولى معز الدولة بن بويه أبا العباس عبد الله بن الحسن بن أبي شوارب القضاء بالالتزام فضمنه هذا الخبيث على أن يؤدي كل سنة مئة الف درهم. وكان أول من ضمن القضاء. فغضب الخليفة المطيع لله ولم يقدر على عزله غير أنه اكتفى بمنعه من الدخول عليه وأمر بأن لا يحضر الموكب ثم عزل بعد عامين. وتقلد القضاء مكانه أبو بشر عمرو بن أكثم وعفا عما كان يحمله ابن أبي الشوارب من الضمان عن القضاء وأمر بابطال أحكامه وسجلاته. غير أن أبا الشوارب كان قد فتح هذا الباب وصار أمر القضاء بالضمان في بعض الأحيان وصار مثالا سيئا. فأصبحت الحسبة والشرطة تولى بالضمان. وهذا من أسوإ ما ارتكبه السلاطين في أيام بني العباس. وكان من أهم أسباب انقراض أمرهم. ومن أعمالهم أن بهاء الدولة قلد النقيب أبا أحمد والد الشريف الرضي نقابة العلويين بالعراق وقضاء القضاة والحج والمظالم وكتب عهده بذلك من شيراز فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة وأمضى ما سواه. وهكذا فسد أمر القضاء وقل من تولاه من أرباب العفة والاستقامة

وكان بعض الزهاد المتقين من الفقهاء يمتنعون عن قبول القضاء لما يشاهدونه من الفساد في تلك الايام ويشغل بعض أرباب الفضل هذا المنصب حفظا لأحكام العدل والدين. ومن هؤلاء أبو بكر محمد بن المظفر الشامي فقد تولى قضاء القضاة في بغداد ولم يأخذ على القضاء أجرا وأقر الحق مقره ولم يحاب أحدا ورد شهادة أحد الفقهاء لأنه لبس الحرير. وكان السلاطين يومئذ يعظمون القضاة رئاء الناس لمنصبهم الشرعي ولكنهم كانوا يرغبون في تولية الجهال والفاسدين حتى يسيطروا عليهم. وهذا هو البلاء المبرم والقضاء

المحكم فلاحول ولا قوة الا بالله

وأما ولاية المظالم أو نظر المظالم فهى وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء . فهذه الوظيفة تحتاج الى علو يد وعظيم رهبة لتقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى من المتنازعين ولذلك كان شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع. وتكون هذه الصفات فى ولي العهد أو وزير مفوض أوأمير الاقليم. وقد تكون الولاية عامة وتكون مقيدة بما عجز عن انفاذه القضاة

نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم المظالم في الشرب الذى تنازعه الزبير ابن العوام ورجل من الأمصار ولم يندب للمظالم من الخلفاء الاربعة أحداً لأنهم فى الصدر الاول مع ظهور الدين كان الناس يرتدعون بالوعظ فلم يكن بينهم اعتداء ولا خلف الاعلى أمر اشتبه به غير أن علياً رضي الله عنه لما تأخرت عنه الامامة واختلف الناس فيها سلك هذه الطريق واستقل بها وبعد حين أخذ الناس يجاهرون بالظلم والتغالب ولايصغون الى الوعظ وأحكام القضاء

فبدأ خلفاء بني أمية ينظرون فى المظالم وأول من خصص لها يوماً عبد الملك بن مروان وكان يرجع فى الاحكام الي قاضيه أبي أدريس الاوري فكان أبو أدريس المباشر وعبد الملك الآمر ثم زاد جور الولاة وظلم العتاة زيادة لم يكفهم عنها الا أقوى الأيدي وأنفذ الاوامر

وكان عمر بن عبد العزيز أول من ندب نفسه للنظر فى المظالم فردها وراعى السنن العادلة ورد مظالم بني أمية على أهلها حتى قيل له وقد شدد عليهم فيها وأغلظ أنا نخاف عليك من رد المواقب فقال : « كل يوم اتقيته

وأخافه دون يوم القيامة لاوقيته »

وأول من جلس للمظالم فى بني العباس المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم المأمون وقد خصصوا لها يوما يقال له يوم المظالم ودام نظر الخلفاء فيها الى عهد المهتدي

كان الخلفاء يباشرون النظر فى المظالم بانفسهم ورفعها بعضهم أحياناً الى قضاتهم . فعمر بن عبد العزيز كان يوكل قاضيه أبا ادريس الخولانى والمأمون يوكل يحيي بن أكثم والمعتصم يوكل أحمد بن أبي داوود

وكان الخليفة يستكمل يوم المظالم مجلساً حافلا من خمسة أصناف لايستغنى عنهم ولا ينتظم النظر الابهم : الأول الحماة والأعوان لجذب القوى وايقاع الهيبة. وثانيهم القضاة والحكام لاستعلام مايثبت عندهم من الحقوق ومعرفة مايجرى فى مجالسهم بين الخصوم . والثالث الفقهاء ليرجع اليهم فيما أشكل ويسألهم عما اشتبه وأعضل . والصنف الرابع الكتاب ليثبتوا ماجرى بين الخصوم وماتوجه لهم أو عليهم من الحقوق . والصنف الخامس الشهود ليشهدوا على ما أوجبه من حق وأمضاه من حكم

وأما وظائف ولاية المظالم فهى على عشرة أقسام: القسم الاول النظر فى تعدى الولاة على الرعية وظلمهم فينظر فيه من وليه فان وجدهم منصفين قواهم وان وجدهم ظالمين كف أذاهم واستبدلهم بسواهم. القسم الثاني النظر فى جور عمال المال وجباته فيرجع فيه الى القوانين العادلة فى دواوين الأئمة فيحمل الناس ويأخذ العمال بها ويرد الزيادة ولو دخلت بيت المال. القسم الثالث النظر فى أحوال كتاب الدواوين والمستخدمين لأنهم أمناء المسلمين لوقوفهم عند حدهم

القسم الرابع النظر في تظلم المرتزقة من نقص أرزاقهم وتأخرها فيرجع الى ديوانه فى فرض العطاء العادل ويدفع الحقوق الى أهلها ويعزل من أبطأ وأخطأ . القسم الخامس النظر فى الغصوب فيرجعها الى أصحابها سواء كان الغاصب السلطان أو الحكام أو من آحاد الناس فاكتفي بالقيود الرسمية والسجلات السلطانية فى غصب هؤلاء وأما اذا كان الغاصب من ذوي النفوذ والأيدى القوية فيرجع اليه باعتراف الغاصب واقراره أو بعلم والي المظالم أو بينة أو بتظاهر الأخبار الدافعة للشكوك . القسم السادس النظر فى الوقوف (الاوقاف) . القسم السابع تنفيذ ماوقف القضاة من أحكامها لضعفهم عن انفاذها وعجزهم عن المحكوم عليه لتعززه وقوة يده أو لعلو قدره وعظم خطره . القسم الثامن النظر فيما عجز عنه الناظر فى الحسبة في المصالح العامة. القسم التاسع النظر فى مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والاعياد والحج والجهاد من تقصير فيها أو اخلال بشروطها فان حقوق الله أولى أن تستوفى وفروضه أحق أن تؤدي. القسم العاشر النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين فلا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه ولا يسوغ ان يحكم بينهم الا بما حكم به الحكام والقضاة

وأما الفرق بين نظر المظالم و نظر القضاة فهو على عشرة أوجه:

الأول أن لناظر المظالم من فضل الهيبة وقوة اليد ماليس للقضاة فى كف الخصوم عن التجاحد ومنع الظلمة من التعدى الثانى أن نظر المظالم يخرج من ضيق الوجوب الى سعة الجواز فيكون الناظر فيه أفسح مجالا وأوسع مقالا

الثالث أنه يستعمل فصل الارهاب وكشف الاسباب بالامارات الدالة

وشواهد الاحوال اللائحة مما يضيق على الحكام فيصل به الى ظهور الحق ومعرفة المبطل من المحق

الرابع أن يقابل من ظهر ظلمه بالتأديب ويأخذ من بان عدوانه بالتقويم والتهذيب

الخامس أن له من التأنى من ترداد الخصوم عند اشتباه أمورهم واستبهام حقوقهم ليمعن في الكشف عن أسبابهم وأحوالهم مالبس للحكام

السادس أن له أن يصالح الخصوم بواسطة الأمناء وليس للقاضي ذلك الا عن رضى الخصمين بالرد

السابع أن يفسح في ملازمة الخصمين اذا وضحت أمارات التجاحد ويأذن بالزام الكفالة فيما يسوغ فيه التكفل لينقاد الخصوم الى التناصف

الثامن انه يسمع من شهادات المستورين مايخرج عن عرف القضاة فى شهادة المعدلين

التاسع يجوز له تحليف الشهود عند اتيانه بهم ويستكثر من عددهم ليزول الشك عنه وليس ذلك للحاكم

العاشر يجوز له أن يبدأ باستدعاء الشهود ويسألهم عما عندهم فى تنازع الخصوم وعادة القضاء تكليف المدعى احضار بينة ولا يسمعونها الا بعد مسألة

فقد اتضح لك مما تقدم أن أحكام ولاية المظالم تكون فى البينات والتقرير واعتماد الأمارات والقرائن على خلاف القضاء

كان فى الاسلام وظيفة دينية أخرى من الوظائف الشرعية وهى النظر فى الجرائم واقامة الحدود . وكانت هذه الوظيفة فى الدولة العباسية

والأموية كما بالاندلس ودولة العبيديين بمصر والمغرب راجعة الى صاحب الشرطة. فهذا له أن يوسع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلا فيجعل للتهمة في الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة في محالها ويحكم فى القود والقصاص ويقيم التعزير والتأديب في حق من لم يأته عن الجريمة

وكانت ولاية المظالم والجرائم للخلفاء أو لمن يجعلون ذلك له من وزير مفوض أو سلطان متغلب ثم تنوسى شأن هاتين الوظيفتين فى بعض الدول وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعين وكان في زمان الدول المذكورة حاكم يحكم فيها بما تقتضيه السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم وال وطوراً باسم الشرطة. والقسم الثاني التعازير واقامة الحدود فى الجرائم الثابتة شرعاً فجميع ذلك للقاضى. وهكذا استقرت وظيفته وكانت كما تراها مع بعض تحولات

كما أنه انقسمت ولاية المظالم والجرائم فى زماننا بين محاكم الادارة والمحاكم الجزائية الخ الخ

الأخبار الأسبوعية

الحالة في فارس

من تتبع سيرة فارس في السنتين الماضيتين يعرف أنه كان لقبائل البختيارية المشهورة بشجاعتها وأقدامها وحبها للحرية والعدل أرفع يد وأقواها فى العمل للحصول على الدستور

وقد وقف القراء على ما كانت تبديه الجرائد الروسية والانجليزية من الجزع يومئذ اذ علمت أن هذه القبائل قد انضمت الي المطالبين برد الدستور على أن البختيارية هذه تتألف من قبائل عدة يرأس كلا منها رجل من جنسهم مشهوراً بالشهامة والاقدام وحب العدل

فلما عزل الشاه محمد على الأخرق وانتظم شمل البرلمان تعين السردار أسعد خان وزيراً لداخلية البلاد فأظهر حذاقة عالية ولكنه مال الي العمل برأيه في مسألة فقامت عليه قيامة بقية القبائل البختيارية وتشبث برأيه فانتهى الحال الي تفرق القبائل البختيارية ومهاجرة رؤسائها وقد خشي فريق الملاوات أن يكون من وراء ذلك ضياع استقلال البلاد ودخول روسيا وانجلترا بعساكرهما فى أملاك روسيا فتوسطوا بين القبائل بالصلح والتوفيق وكذلك قد تم لهم الآن

وقد أمضي كل رئيس وكبير من كبرائهم عقداً كتبوه فيما بينهم في هذا الصدد. وقد جاء فى العقد مقدمة فيها حث على الاتحاد واظهار فضيلة

التكاتف لحماية بلاد الآباء والاجداد من عداء المعتدين وأراحتها من أولئك الذين يريدون أن يرهقوها بسعيهم لمصلحة أنفسهم

وجاء فيه أيضاً قولهم « نحن الموقعين على هذا العقد المؤرخ ١٢ ابريل سنة ١٩١٠ انما نتفق على أن نوثق روابط الوحدة والأخوة وأن نعمل أيام حياتنا في هذه الدنيا على مقتضي الاخاء المتبادل والوحدة وتعتبر كل قبائل (الكاشجاي) - وهى الساكنة فى الحدود المجاورة لاصفهان وتنتهى منازلها عند شيراز ولورستان - قبيلة واحدة . وأن نسعي بقدر ما فى وسعنا في أن ننجى بلادنا من معاول الخراب الذى يراد بها ونسير بها الي شاطيء السلامة والحرية ليحيا الدستور الفارسي »

أما البند الأول والثانى من هذا العقد فان فيهما عبارات مضمونها ان الممضين عليه يعتبرون الدفاع عن استقلال فارس فرضاً مقدسا وأن ينفقوا كل قوتهم لحماية الدستور الفارسي من العدوان والسير به في طريق السلامة حتى يصل الى أرقي درجة

وجاء في البند الثالث أنه يجب على كل قبيلة من القبائل الممضية على العقد أن تحافظ على طرق المواصلات الممتدة فى أراضيها وأن يكون ذلك بالأخص لتسهيل التجارة الدولية. وورد فى البند الرابع أنه يحسن بكل رئيس في فارس أن ينضم الى جمعية الممضين على العقد واسم هذه الجمعية « لجنة الاتحاد » وهى تضمن لكل عضو فيها حفظ كرامته ومصلحته

وهذه الجمعية قد أعلنت أنها حامية حمى المجلس المقدس (أي مجلس النواب) كما جاء فى البند السادس من العقد

وجاء في نهاية الاتفاق دعاء جميل منه «اللهم سدد خطا العاملين المخلصين

واحفظ بلادنا من عدوان المعتدين ووفق كل فارسى لما فيه رضاك بالعمل علي سنتك وتحقيق كلمتك »

ثم جاء في هذا العقد أيضا أمر الى أعضاء الجمعية أن يسيروا في عملهم للمحافظة علي حقوق البلاد ومصالحها بلا خوف ولا خشية معتمدين على معونة كل من اشترك فى هذا الاتفاق

حالة المسلمين الاجتماعية

في الروسيا

نشر مسيو كاميل فيديل مقالا مفيداً فى عدد أول مايو من مجلة « كورسبوندانس دوريان » أى المراسلة الشرقية بحث فيه بحثاً دقيقاً فى تقدم مسلمى الروسيا فتكلم فى بادىء الأمر على البدء فى تشييد جامع بطرس برج وتدرج الى القول بأن تشييد هذا المسجد من آثار النهضة الاسلامية فى الروسيا وقد جمعوا له مبالغ كبيرة من المال وأن جميع النواب المسلمين فى الروسيا حضروا حفلة البدء في تأسيسه وتمشى الى القول بأن الروسيا تحوى أكثر من عشرين مليوناً من الرعايا المسلمين أغلبهم من التركستان وقفقاسيا وفى جنوب الروسيا وجنوبها الشرقي . وأن أول ماتحركوا للنهضة انما كان فى عام ١٩٠٤ على أثر الحركات الاجتماعية الكبرى التي حدثت فى ذلك العهد والتى كانت السبب فى ايجاد الدوما

وقد ألف مسلمو الروسيا عدة مؤتمرات تنظر فى أحوالهم وأسباب

تأخرهم وضعفهم . وأهم هذه المؤتمرات ما حدث في عاصمة الروسيا وفي أورنبورج في شهري يناير وفبراير سنة ١٩٠٧ اذ فيهما تم اتحاد مسلمي الروسيا ولقد كان للثورة العثمانية تأثير عظيم جداً فيهم . ولكن بما أن الدستور العثماني ضمن لكافة العثمانيين المساواة في الحقوق الاجتماعية والحرية فقد طرأ على حركة مسلمي الروسيا شيء من التغير يوافق المدنية الحديثة اذ انتقلت أفكارهم من التوجه الى التعصب الى البحث عن الاسباب الحقيقية التي تنهضهم من كبوتهم وتأخذ بأيديهم الى مصاف الأمم الراقية . ويعتقد هؤلاء الأقوام أن تحسن حالهم لا يمكن أن يكون الا بتنورهم ووصولهم الى درجة كافة الشعوب الأوربية ولهذا وجهوا عنايتهم الى نشر التربية والتعليم . وقد أنشأوا لهذا الغرض مدارس عديدة متفرقة في كل صقع وناحية وفي أثناء التئام مؤتمراتهم الخاصة أمكنهم أن يضعوا بعد بحث دقيق طريقة مثلى للتربية والتأديب بحسب مايوافق أحوالهم وأوساطهم . وكذلك أوجدوا في العهد الأخير جمعيات كثيرة لتعليم العامة وللأعمال الخيرية التي تصلح أحوال فقرائهم وتنقذهم من الشقاء

ومن شدة تعلقهم بسرعة انتشار التعليم على اختلاف درجاته ولاسيما الراقي منه عمدوا الى نشر شيء كثير من الجرائد والمجلات والى وضع أدبيات للغتهم

ومنذ عدة شهور أو ضحت جريدة النوفيا فريميا الروسية الشهيرة أن لمسلمي الروسيا ثلاثين جريدة يومية تنشر باللغة التاتارية وأغلبها يطبع في قازان

وقد ذكرت مجلة كنزها انتشاراً وأغزرها مادة وهي « إزاكاليك »

أي الشعب الحر و « أزاد » أي الحرية و « يلديز » أي النجم و « باز » أي الربيع

وتعزو النوفيا فريميا الي هذه الصحف التاتارية المنتشرة في الاودية والجبال والقرى والبلدان بالخمس القيم العمل الموصول لرفع شأن الاسلام وجمع شمله وتوحيد كلمته

وتوجد الى جانب هذه الصحف التاتارية صحف أخرى روسية تنشر العلم أيضاً بين مسلمي الروسيا وهي لاتقل انتشاراً عن أخواتها التاتارية

وكما أنهم أوجدوا أدبيات باللغات التاتارية كذلك أوجدوا أدبيات اسلامية باللغة الروسية حتى يكونوا مسلمين أينما وجدوا ذوي تاريخ أدبي خاص بهم يؤدي حتما الى ترقية أفكارهم ويجعلهم يحافظون على مجموعهم .

وختمت النوفيا فريميا بحثها الضافي في الحركة الاسلامية الروسية بذكر جريدة « موسلمانين » التي تطبع في باريس ولها شهرة عظمى وقدر أهم من سائر الصحف الاسلامية الروسية واليها يرجع الفضل الأكبر في النهضة الجميلة التي نهضها جميع مسلمي الروسيا جميعاً . ويدير هذه الصحيفة الجليلة محمد بك جاجلاش وخطتها « انارة عقول المسلمين الضاربين في جبال القوقاس على الأخص وفي باقي بلاد المسلمين التابعة للروسيا على العموم » وغايتها أن تجمعهم في ميدان واحد هو ميدان التقدم والعمل الموصول ليصيروا يوما مافي مصاف الأمم المتحضرة الراقية

وقد وجه الاستاذ محمد بك جاجلاش عنايته في مقالات عديدة الى تشييد خطته القويمة على دعائم ثابتة . وقوام هذه الخطة في تعليم الأمة الاسلامية لتتحسن حالتها

وقد أظهر رئيس تحرير هذه الجريدة في عدد منتصف مارس الماضي حالة

سكان الجبال فى ولاية داغستان وهي حالة لاترضي لانهم لم يستطيعوا مقاومة عمل السجاد بواسطة الآلات البخارية التي أصبحت تصنع عدداً كبيراً فى وقت قصير وصار ثمنها بخساً بينما يقضي الداغستانيون وقتاً طويلا فى عمل السجاد ثم لا يستطيعون أن يزاحموا المعامل البخارية فى بخس الأثمان. وأظهر بعد ذلك أنه لم يبق لأولئك المساكين سوى صناعتين حقيرتين هما عمل السلال وعمل الفخار وهاتان الصنعتان لاتعودان بالمكسب الضئيل الا على بضع عشرات من الألوف ولذلك يكاد الفقر يضرب أطنابه بين الداغستانيين

فمن الواجب اذن أن لا يعتمدوا على صناعاتهم القديمة التي لم تعد توافق العصر الحاضر ولا تقف أمام المعترك الاقتصادى المدني الهائل بل يجب عليهم أن يتعلموا العلوم والصناعات الحديثة أتم تعلم ليمكن أن يزاحموا غيرهم ويضربوا فى كل فن بسهم فلا يظلوا عبيدا للتجارة الأجنبية

وليست هذه الجريدة مع عنايتها الجميلة بأحوال القوقاسيين مختصة بالنظر فى شؤونهم دون غيرهم بل هى تجول فى مباحث شتى مرتبطة بشؤون سائر المسلمين القاطنين فى المملكة وكثيراً ماتدور فيها المباحث والمجادلات العلمية والاقتصادية والسياسية على أحوال العالم الاسلامي كافة وهى تنشر الرسائل الجمة التي تنهال من عدد جم من خيرة الكاتبين

ومن الأمثلة على أنها تهتم بوجه عام بكل ما يخص المسلمين ما نشر فيها بقلم ا . ب عليف فى الأعداد التي ظهرت ما بين ١٢ فبراير و١٥ مارس الماضيين . فان هذا الكاتب القدير طرق بحثا خطيراً وهو :

«هل الدين الاسلامي جامد مؤخر لمن يدينون به عن التبريز فى ميادين العلم والعمل والتفوق على المسيحيين الغربيين» وقد أطال فى هذا الصدد

وعرض صحف التاريخ الاسلامي قديماً وحديثاً مسهباً فى القول مؤيداً آراءه بالحجج القوية محققاً أن الاسلام دين رقي واجتماع وعلم وسعادة وأن أسباب التأخر الذى طرأ على بنيه انما ترجع الى بعض العلماء المتأخرين والى كثيرين من رؤساء الممالك الاسلامية . أما الدين الاسلامي فليس فيه أدنى خيال للجمود والجهل . وقد ألم هذا الكاتب بمبادىء المرحوم مصطفى باشا كامل وقال أنها خير ما يجب العمل به فى كل بلد اسلامى لاستعادة مجد الاسلام وهو يرى فى المرحوم مصطفي كامل باشا مفكراً مصلحاً من كبار المصلحين المسلمين وقد أفاض في شرح مبادئه وأتي بكثير من خطبه وأقواله مستشهداً فى مواضع جمة وانتهى بان حض جميع مسلمى الروسيا علي العمل بهذه المبادىء المؤدية الى العلم والسمو والحرية والسعادة

وختم المسيو كاميل فيديل مقاله الجليل الذى نشره في الكورسبوندانس دوريان بقوله . «وان مثل هذه الاقوال والاعمال لايشتم منها على الاطلاق رائحة التعصب الديني بل هى تدل علي سعة فكر وعلي أن الاسلام حقيقة دين عملي حر راق وأن المسلمين اذا عملوا بتعاليمه وأكبوا على العلوم والفنون تلقنا ودرساً وصلوا عاجلا الى أوج المجد والسعادة وان هذه الافكار تقابل بالطبع من الروسيين بكل ارتياح ويشجعها كل أوربى حر يعرف الانصاف» اه

الاسلام في لندن

﴿ اقتراح انشاء مسجد ﴾

«انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر» «قرآن شريف»

طالما أحسست وأحس كل مسلم يقيم بانجلترا على اختلاف أجناسهم بالحاجة الى مسجد اسلامي وكتبخانة تلاصقه. أما المسجد فلاقامة الصلاة التي هي عماد الدين. وأما الكتبخانة فالغرض منها جمع عدد من كتب الدين وآدابه تذكر كل مسلم بعيد عن الأوطان الاسلامية بأصول دينه وآدابه ولا شك أن تأثير هذا في كل مسلم يفد الى هذه الديار خصوصا الناشئين الذين هم أحوج الى الحصول على التربية الدينية بجانب العلوم التي يتعلمونها هنا وذلك من أجل الأعمال الخيرية

والآن قد وفقني الله تعالى لابراز مشروع مسجد اسلامي في لندن الى حيز الوجود وهو مشروع أرجو أن يكون باكورة خير للعالم الاسلامي بأجمعه بل فاتحة خير ومقدمة لانشاء مساجد أخرى في المدن الكبيرة بأوربا

أليس من العار على العالم الاسلامي أن لا يكون له مكان عبادة في انكلترا على الخصوص وعلاقاتها بالامم الاسلامية لا تخفى ؟؟

أليس من العيب الفاضح أن لا يكون للمسلمين مكان عبادة في لندن بينما نجد لجميع المذاهب الاخرى أماكن لعبادتهم ؟؟

ها أناذا أنادي الامم الاسلامية بأجمعها من فقير وغني ورجل وامرأة وكل محب للدين الاسلامي وأبنائه أن يعيروا هذا المشروع أعظم الاهتمام فان المنافع التي تنجم عنه لا تحصى

وقد كتبت حديثا الى جريدة (صباح) بالاستانة لتحرك شعور العالم التركي الاسلامي ليكتتبوا كل على قدر طاقته لاعانة هذا المشروع العظيم وقد أصغت بحمد الله الامة التركية الى هذا النداء وأخذ الرجال والنساء والاطفال يرسلون المساعدات على قلتها

وقد جئت الآن أنادي الامة المصرية الاسلامية على لسان جرائدها لتمديد المساعدة لهذا الامر الجلل فان مكانة الامة المصرية من العالم الاسلامي عظيمة

أليس من أجل الاعمال الخيرية أن ينشأ مسجد يذكر فيه اسم الله ورسوله في بلاد ليس فيها مكان يجمع شمل المسلمين للعبادة ؟ استيقظوا أيها المسلمون وشيدوا دينكم واحفظوا أولادكم الذين يأتون الى هذه الديار من ضلال الطريق ونسيان دينهم وتعاليمه وآدابه وذلك انما يكون بتأسيس مسجد وكتبخانة دينية

ومما يسر كل محب لنجاح هذا المشروع أن يعرف أن حضرة القاضي السيد أمير على الهندي المقيم في لندن قد تفضل بمشاركتي بكل قواه وهو الآن يستعطف أمراء الهند لارسال الاعانات

وقد أعطيت التعليمات الى كل فروع البنك العثماني في انجلترا وتركيا ومصر ليفتح حسابا باسم مسجد لندن

وهو الآن مستعد لقبول كل الاعانات باسم المسجد واعطاء وصولات بالمبالغ التي تسلم اليه

واني أود أن يكون من الواضح البين لكل من يريد عمل الخير أن الأموال التي تجمع في البنك لا يكون لاحد ما عليها سيطرة كما اتفقت مع

البنك بل تبقى باسم المسجد حتى اذا اجتمع من المال ما يكفى تؤلف لجنة لانشاء المسجد لا ينقد أحد منهم شيئاً من الاعانات بل يكون عملهم لوجه الله

وقد جئت بهذه الكلمات طالباً من كل مسلم ومن الجرائد الاسلامية على الخصوص أن يساعدونا بجمع الاعانات وارسالها الى البنك العثمانى المتقدم ذكره باسم مسجد لندن كلما جمعوا مقداراً يذكر ويأخذون وصولا بذلك والله يوفقنا جميعاً لاتمام هذا المشروع الخطير

لندره في ٢٢ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨ و٢ مايو سنة ١٩١٠

الفقير اليه تعالى

چركش شيخى زاده

خليل خالد

(الهداية) نلفت المسلمين عامة والمصريين منهم خاصة الى تلبية هذه الدعوة والمسارعة الى امداد هذا الداعي الكريم بما يعينه على الشروع فى هذا العمل الصالح وفقه تعالى الله الي اتمامه على أحسن حال وجزى المكتتبين خيرا

آراء وأفكار

القرآن وأسراره

لحضرة السري الأمثل صاحب التوقيع

أعجبنى وايم الله النحو الذى تنحونه فى تفسير آى الذكر الحكيم تحت عنوان «أسرار القرآن» بهداياتكم الزاهرة جئت بهذه السطور أحمد اليكم صنيعكم وأمدح الهداية عملها وأهديها ثنائى

القرآن شهد الله وأولو العلم لم يزل بكراً، لم يزل كنز علم لذوى العقول وأهل البحث، فان كان الاوائل قد عنوا بتفسيره وتفهم أسراره واستخراج حكمه وأحكامه، فلعمري أن فيما نراه منه يطابق أحوالنا وينطبق على رقينا العصرى فيصف الداء والدواء وينطق بالحكم البالغة المنطبقة نواميسها على مصالح كل عصر أفراداً وجماعات، لهو عين المعجزة التي نشدها السلف فيه من جهة بلاغة الألفاظ والتراكيب، ففخر القرآن ومعجزته من هذه الوجهة يعدل تلك المفخرة من حيث اللغة، ولاجرم أن الاستاذ بتحري اللباب فيما يقوم به من التفسير الشائق انما يؤدى الي الأمة والدين خدمة جلى: خدمة يقدرها أبناء هذا الجيل بله الأجيال اللاحقة حق قدرها

أجل أنكم قد أجدتم وتبعتم الصراط السوى على نحو ما كان يتحراه الامام المرحوم الشيخ محمد عبده فتركتم التعسف، ونبذتم التكلف، وأقصيتم مسائل أهل التأويل وأرباب الاشارات وأصحاب الآراء الفلسفية والكلامية ثم اطرحتم الخرافات والسخافات، فلا جرم صار ماذهبتم اليه الطريقة المثلى

بل الحجة البالغة التي لله فى محكم تنزيله

حقاً أن النابتة العصرية التى شغلتها زخارف المدنية الجديدة ومعارفها الطريفة، لفي حاجة الى الرجوع الى الاستقاء من ذلك الينبوع الصافي ينبوع القرآن المجيد وفهم أسراره ومعانيه ، خالصة من الشوائب وكدورة الاوهام مناسبة لظروف الأحوال، وإن فى هذا لنعم المعين لها على فهم أسرار الحياة وقضايا الاجتماع البشري والآداب الانسانية السامية والقرآن « نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء »

شاقني ما ذهبتم اليه في تفسير الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور، فمن المفسرين من ذهب الى أنها أسماء تلك السور، ومنهم من قال أنها رموز وحسابات بالجُمّل تدل على عمر الأمة الاسلامية، أما أنتم فرجحتم أنها انما جاءت للاستدراج وهو الوجه السديد كما يظهر بالتأمل الدقيق وأنها انما جاءت هكذا للاثبات والاعجاز معجزة للنبي الأمي صلي الله عليه وسلم

ولقد توخيتم فوق ذلك فى تفسير الآيات البينات أحكم الوجوه وأتيتم بالسهل الممتنع والأمر المعقول والحق الصراح، مثال ذلك تفسيركم «المتقين» وأنهم ليسوا الذين انقطعوا عن العالم للعبادة وانما هم « الذين يبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة ولا ينسون نصيبهم من الدنيا» الى آخر ما قلتم ولله ما قلتم فى الوحى والتنزيل أيضا

ومن ذلك تحقيقكم القول فى التكليف — ولا يكلف الله نفسا الا وسعها — وأنه تعالى لا يكلف الا اذا يسر الطريق ومنح سلامة العقل والجوارح، « وكيف لا يكلف المرء اذ ذاك وقد أعطاه الله كل شيء ثم هداه النجدين فضرب له بين الحلال والحرام وبين له كيف تكتسب الأجور وأراه مصارع

أهل البغى »

هذه قطرة من بحر تفيض به أنهر الهداية وتجود به علي قرائها، ولعمري ان مما يشرح الصدور ويثلج الأفئدة، أن ترى الأمة من بين رجالها العاملين من يتصدى لهدايتها بكشف النقاب عن أسرار كتابها الكريم وابراز ما فيه من درر الحكم العالية ولآلئ الآداب السامية يسطع نورها للناس كمشكاة فيها مصباح، ثم برد شبه من يرميه و يرميها بالنقص عن الكمال ولاريب أن فيما تقوم به الهداية من نشر هذا التفسير الجليل « أسرار القرآن » لعملا مجيداً وأثراً خالداً فجزى الله الاستاذ وهدايته عن الاسلام والمسلمين خير جزاء

صالح حمدي حماد

نقد تفسير جزء تبارك

درست بامعان التفسير الذي وضعه الفاضل المغربي لجزء تبارك ليكون صنوا لتفسير المرحوم الاستاذ الامام فراقني أسلوب الانشاء من حيث العذوبة والرقة وكمال التركب شكلا . ولكني من جهة الموضوع لم اكن بحيث يطمئن فؤادى للتفسير اطمئناني لقدرة استاذ جليل كالمغربي مملوء علماء وتقوى. فقد آنسته يتغصب التأويل تغصباً خرج به من الروح القرآنية الى التطبيق العصري وان كان المجال الفكري الاصلاحى لا يقفه موقفاً يضطره الى التوفيق بين مدلولات القرآن ونصوصه الالهية وبين مكتشفات العصر الحالي وان كانت في ذاتها ناقصة أو غير صحيحة بله انه لم يراع فى تفسيره الأغراض الدينية التي تنطوي تحت ثنيات الآيات الكريمة . فقد ذكر فى

مقدمة التفسير ما يؤخذ منه أن هذه السورة أنزلت بمكة ومن ثم كان الخطاب موجهاً للمشركين . وقال أن الكلام يدور حول اثبات وجود الله تعالى والاستدلال عليه بما خلق من الكائنات الخ ولكن المشركين لم يكونوا منكرين لوجود الله تعالى حتى يكون الكلام دائراً حول اثبات (وجود الله) تعالى وانما كانوا وثنيين أو ممن يقولون بالأبوة والبنوة والوسطاء . وهؤلاء مع شركهم وكفرهم كانوا يعتقدون بوجود الله وانه خالق السموات والأرض كما قال الله تعالى فى سورة الزمر (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) وقوله (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ولذلك ترى مفتتح السورة الشريفة يشير الى أنه انما هو رد من الله على من يعتقدون الأوهام فى نوع ممن يتوهمون أن لهم فى الاكوان بعض التصرف بما أودع فيهم من الأسرار المخصوصة وعلى من يعلقون أمانيهم بخلق الله فيتخذون شفعاء أو آباء روحانيين زاعمين أن مايفتحونه في الارض أو يغلقونه فيها كذلك يكون فى السموات : أولئك الذين ختم الله على قلوبهم فلم يعرفوه ونأوا عنه فعبدوا غيره وظنوا أنهم عبدوه وضلوا عن جادة الحق ويحسبون أنهم مهتدون . فقال (تبارك الذى بيده الملك) والبركة زيادة البرأى تزايد بره والذي بيده الملك كناية من كنايات العرب كما يقال بيد فلان الأمر على أنه المنفرد به . وانما جاءت فى القرآن على مايعهد في كلامهم والله وحده هو المطلق التصرف المنفرد بالسلطان الذي يقلب الملك وهو مجموع الخلق بمحض ارادته وقوة قدرته ويتصرف فيه حسب مشيئته تعالى فعنه يصدر كل أمر في ابتدائه واليه مصيره ورجعاه . وهو المنفرد بالبركة وافاضة النعم الدائمة على عباده دون غيره . اذ الناس على اختلاف أجناسهم بل

الخلائق مع تباين أصنافهم وأجناسهم سواء فى الافتقار اليه . وكلهم محتاج فى نفسه لغيره وان لم يحس بذلك. ومن كان كذلك فكيف يركن اليه اذا اشتدت الأزمات وتفاقمت الأهوال . ومن كان وحده هو المالك لكل أمر فهو جدير بأن يلتجأ اليه ويستعان به ويتوسل اليه بحمده على نعمائه واقرار العبودية اليه (وهو) وحده (على كل شيء قدير) هذا ما يستفاد من الآية الأولى. وأما مايستفاد من الآية الثانية فهو أنه جل شأنه بعد أن نبه الألباب الى أنه هو المنعم الوهاب الذى أمد الخلق بنعمه الوافرة التي لاتحصى وغمرهم بأفضاله التي لا تحصر وأنه تعالى رب الأرباب الذي بيده كل أمر والذى يرجع اليه فى الاعانة والاستمداد بمدده وعونه وقدرته: عاد هنا الى التذكير بأنه هو وحده الذى ذرأ (الموت) على أنه لا مفر منه (والحياة) على أنها حركة العمل والاستعداد الى مابعد الموت ليأخذ المخاطب من التذكر ما ينبه شعوره الى التسابق فى ميدان هذه الدنيا والتزود من صوالحها بما يكون مدعاة الى الفوز فى الآخرة . وقد جعل الله التجاريب مظهراً لصفات الرجال وأعمالهم. فانه اذا ماأصاب أحداً بما يضيق به صدره ويشتد عليه به همه مازبذلك الخبيث من الطيب والخالص عمله اليه من المشوب بالرياء والأكدار وليثبت بذلك أيضاً جأش الموحدين الصابرين من المؤمنين فاذا ما اعتزوا بعزه ولم يحيدوا عن طرق الانابة اليه والاخلاص له ولم يسترقوا بالاستعباد لمخلوق يقطعون بالنفع في الاخلاد اليه لضعف في قلوبهم ورين على أفئدتهم أعزّهم الله فانه هو (العزيز) (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)

أما الذين أفرطوا في الملذات والشهوات وفرطوا فى الفضائل والكمالات واعتمدوا على الوسيلة اليه بغيره فوكلوا لهم الامور وقنطوا من رحمة الله الغفور فحل بسبب ذلك فى أفئدتهم شية من الجبن وضربت على رؤوسهم الذلة والمسكنة حتى هابوا دعاءه واستنكفوا نداءه وساءت خطيئاتهم فقد حق عليهم أن يطلبوا التوبة منه ويسألوه وحده المغفرة والعفو فانه هو (الغفور)

فالآية الأولى فيها تقرير العقائد والايمان. وفى الثانية تقرير الأعمال وبيان مايكون للمحسن من العزة ومايكون للتائب من الغفران. وفيها من طرف خفيّ ما للناكص المفتون من العقاب وتقرير الجزاء على الأعمال

هذا مايؤخذ من الآيتين مع التأمل القليل. ولكن حضرة الفاضل المغربي اختزل المعني اختزالا . ولعل عذره ما اختمر عقيدته من أنه جدير بأن يفسر جزء تبارك تفسيراً بحيث « يكون على مقربة من أذهان العامة ولا تتجافى عنه عقول الخاصة »

وقال الفاضل المغربى « وانما جعل السموات سبعاً مع أن العلم الحديث أثبت أنها أكثر من ذلك لأنه تعالى انما يخاطب القوم وقت البعثة بما ألفوا وتعورف بينهم ليحدث الخطاب في نفوسهم عبرة واذعاناً. وهذا هو جل القصد من ذكر السموات فى القرآن الكريم . وليس القصد تقرير حقائق فى علم الهيئة . والافلو قرر تعالى هذه الحقائق كما هى فى الواقع لتوى الأمر فلم يعودوا يعرفون أن كانوا مكلفين تعقل وجود الله وصفاته أم تعقل مسائل علوم ومبادىء فنون »

فقد قيد حضرته السموات بأنها طرائق السيارات ومداراتها فاضطر

لتعصب التأويل الي جعل السموات الواردة في الآية الشريفة أفلاك الكواكب السيارة المعلومة وهي زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ولذلك قال « وأما فلكا اورانوس ونبتون أو السماء ان اللتان يسبح هذان السياران فيهما فلم يكونا قد اكتشفا بعد فى ذلك العهد» الخ أما أن ليس القصد من ذكر السموات فى القرآن تقرير حقائق فهذا خطأ صريح. وماذا عسى أن يقول الفاضل المغربي في قول الله تعالى فى معرض التكوين الوجودى في سورة السجدة («قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين» «وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين» « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرهاً قالتا أتينا طائعين» «فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحي فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم»)

ماعسى أن يقول حضرة الفاضل المغربي فى هذا التقرير الصريح بان الله ذرأ السموات سبعاً فى يومين ؟ وماذا يفيد لفظ (قضاهن) غير التقدير والتقرير؟ أليست هذه الآية تفيد أن الله خلق اليابسة في يومين وتقديراتها الحيوية فى يومين ثم استوى الى الفضاء الأثيري فقضاه سبع سموات فى يومين وزين السماء الدنيا بمصابيح هي الكواكب والبروج ؟؟ ماذا علينا لو اعتقدنا أن السموات سبع وأن لكل منها أفلاكا ومدارات لكواكب وبروج مخصوصة وسواء علينا فى ذلك وافق اعتقادنا العلم الحديث أم خالفه . فلا بد من يوم تكتشف فيه حقائق القرآن ومقرراته. فما العلم الحديث الآن الا كغيره فى كل زمان ومكان فى حاجة الي الارتقاء. بل لسنا نحن في حاجة الي

تطبيق القرآن على مقررات العلوم التي لا تقف عند حد وانما نحن بازاء النواميس الكونية في حاجة الى تطبيق القرآن فان نواميس الكون الثابتة من سنن الله (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

يقول حضرة الفاضل المغربي «لو قرر تعالى هذه الحقائق كما هي في الواقع التوى الأمر فلم يعودوا يعرفون ان كانوا مكلفين تعقل وجود الله وصفاته أم تعقل مسائل علوم ومبادئ فنون» وليس الأمر مما يقول حضرته في شيء. فقد ذكر القرآن كثيراً من المسائل الكونية التي لم يعرفها المشركون ولم يعتادوا سماعها. ولا خلاف في أن المعاند هو المعاند والمؤمن هو المؤمن. ولا يلتوى الامر الا على الذين في قلوبهم مرض كما قال سبحانه وتعالى في سورة آل عمران (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله. والراسخون في العلم يقولون آمنا به. كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب) وكما قال تعالى في سورة الحج (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم» «ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد» «وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم» «ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم») وكما قال تعالى في سورة المدثر (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا

الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء»

وقد راقني كثيراً ما قاله الفاضل المغربي «ونحن معشر المسلمين نعتقد بظاهر ما ورد في القرآن الكريم من أن النجوم قد ينفصل عنها رجوم تتبع الشياطين واذا لم يفهم العلم هذه القضية فذلك لانه لم تتيسر له أسباب فهمها الى الآن ويكفينا في صحة الايمان بها على ظاهرها أن العقل لا يجعلها من المحالات العقلية» ولكنه ذكر وجها لتفسير آية جعل النجوم رجوما للشياطين لبعضهم الذي فسّر الرجم بالتكلم بالظن والتخمين والشياطين بشياطين الانس وهم المنجمون! وقد استحسن هذا التفسير مع مخالفته لصريح القرآن وعديد آيه فقال حضرته «ولبعضهم في تفسير جعل النجوم رجوما للشياطين كلام بديع نقوله ويا حبذا لو نقول به»

ولعل حضرة الفاضل المغربي بعد أن يطالع أو يراجع نصوص القرآن يرجع عن اعتقاده فلا يصفق لكلام المتأولين بالتحبيذ والترجي. ولا يمنح قولهم مراتب البديع وهو خروج عن صريح التنزيل. ورد في سورة الصفات («انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب» «وحفظاً من كل شيطان مارد» «لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب» «الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب») وفي سورة الحجر («ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين» «وحفظناها من كل شيطان رجيم» «الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين») وفي سورة الجن حكاية عنهم («وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً» «وأنا كنا نقعد

منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً »)

هذا ما نلاحظه على حضرة الفاضل المغربي في تفسيره .وأنا لا آملون منه أن يستدرك مافات فيشرع فى التفسير نهجاً أدق وأسلوباً أسدّ وأن لا يميل عن الصريح الوارد الى مالا يعصم أمره من الخطل والخطأ وان لايخلد الى التفسير بالرأي الا اذا فقد النقل وانا فى كل ما كتبت قرير العين ساكن الفؤاد وبالله التوفيق

محمد كامل السويفى

﴿ الهداية ﴾ فتحنا هذا الباب لننشر المعقول مما يرد الينا من الردود والمجادلات التي تقع بين أصحاب الرسائل المنشورة فى المجلة وربما علقنا عليها في الوقت الذى نراه مناسباً

الاحاديث الموضوعة

﴿ نقلا عن كتاب اللآلئ المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة ﴾

ست من النسيان سؤر الفار والقاء القملة وهي حية والبول فى الماء الراكد ومضغ العلك واكل التفاح ويحل ذلك اللبان الذكر (موضوع آفته حمزه)

النفخ فى الطعام يذهب البركة (قال النقاش وضعه عبد الله بن الحارس)

تعشوا ولو بكف من حشف فان ترك العشاء مهرمة (قال الترمذي حديث منكر)

من أخذ لقمة او كسرة من مجرى الغائط أو البول فاماط عنها الاذى وغسلها غسلا نقياً ثم اكلها لم تستقر فى بطنه حتى يغفر له (موضوع آفته وهب بن عبد الرحمن) وفى رواية من وجد كسرة من طعام أو مما يؤكل فأماط عنها الاذى ثم اكلها كتبت له سبعمائة حسنة وان هو أماط عنها الاذى ثم رفعها كتبت له سبعون حسنة (قال البيهقي أن يوسف بن السفرا حد رواته فى عداد من يضع الحديث)

الاكل فى السوق دناءة (لا يصح فان راويه كذاب وقال العقيلي لا يثبت فى هذا الباب شيء)

شرب الماء على الريق يعقد الشحم(وضعه عاصم بن سليمان العبدي الوضاع)

من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه ومن شرب من سؤر أخيه ابتغاء وجه الله تعالى رفعت له سبعون درجة ومحيت عنه سبعون خطيئة وكتب له سبعون حسنة (تفرد به نوح وهو متروك)

عليكم بالقرع فانه يزيد فى الدماغ وعليكم بالعدس فانه قدس على لسان سبعين نبياً (من رواته عمرو بن الحصين وشيخه وهما متروكان)

ربيع أمتي العنب والبطيخ (موضوع من رواته محمد بن الضوء وهو كذاب متهتك بالخمر والفجور)

لو تعلم أمتي مالهم فى الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهباً (من رواته حسين بن علوان وهو كذاب يضع الحديث)

الحناء سنة الله وسنة رسوله تسبيح الحناء على الرجل والمرأة والصبي وركعتان في الحناء تعدل أربعاً وعشرين واذا ما تدلى الرجل في القبر يدخل عليه منكر ونكير فيقول أحدهما لصاحبه سله فيقول كيف أسأله ومعه حجة الاسلام يعني الخضاب

(موضوع من رواته يحيى بن شعيب ودينار وهما كذابان)

من صام يوماً في سبيل الله خفض الله تعالى عنه من وقوف يوم القيامة عشرين سنة

(موضوع من رواته محمد بن حاتم وهو كذاب)

تختموا بالياقوت فانه ينفي الفقر (واضعه الشيباذ وهو كذاب وضاع)

شموا النرجس ولو في اليوم مرة ولو في الشهر مرة ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فان في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم النرجس (من رواته محمد بن مسلمة وهو ضعيف وهناد وهو لا يوثق به)

الورد الابيض خلق من عرق ليلة المعراج وخلق الورد الاحمر من عرق جبريل وخلق الورد الاصفر من عرق البراق (باطل اتهم به المقدسي)

اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله (تفرد به محمد بن كثير وهو ضعيف جداً)

من شيع جنازة فرجع حط الله عنه أربعين كبيرة (من رواته ابرهيم بن عبدالله الكوفي وشيخه وهما كذابان)

اتركوا الترك ما تركوكم (من رواته سلمة وأحمد بن محمد بن الازهر والاول يضع الحديث والثاني مشهور بالكذب)

آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر (من رواته مسلمة وهو متروك ورواه أيضاً الابزاري وهو كذاب)

لما عزى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات (من رواته عثمان بن عطاء وأبوه والاول ضعيف والثاني رديء الحفظ وجاء من غير هذا الطريق موضوعاً)

من قال حين يمسي صلى الله علي نوح عليه السلام لم يلدغه العقرب تلك الليلة (غير صحيح من رواته بشر وشيخه وهما متروكان)

مرض يوم يكفر ثلاثين سنة (غير صحيح من رواته الذرع وهو كذاب)

قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تكرهوا أربعة فانها لاربعة لا تكرهوا الرمد فانه يقطع عروق العمي ولا تكرهوا الزكام فانه يقطع عروق الجذام ولا تكرهوا السعال فانه يقطع الفالج ولا تكرهوا الدماميل فانها تقطع عروق البرص (موضوع)

عن ابن عمر مرفوعا أن ابليس دخل العراق فقضى حاجته منها ودخل الشام فطردوه حتى بلغ ميسا. ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عيقرته (موضوع جل رواته كذبة)

ثلاث يزدن في قوة البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن (مكذوب آفته وهب بن وهب يسند الى مجهولين)

لا تضربوا أولادكم على بكائهم فبكاء الصبي اربعة أشهر شهادة ان لا اله الا الله وأربعة اشهر الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وأربعة أشهر دعاء لوالديه (قال الخطيب منكر جدا وقال الحافظ بن حجر في اللسان هو موضوع بلا ريب)

ما من أهل بيت فيهم اسم نبي الا بعث الله تعالى اليهم ملكا يقدسهم بالغداة والعشى (من رواته الاصبغ ومحمد بن حميد والاول متفق على ضعفه والثاني كذاب)

ان الله تعالى طهر قوماً بالصلعة في رؤوسهم وان عليا لاولهم (قال ابن عدي حديث باطل من رواته احمد بن عبد الحميد وهو قليل الحياء يحدث عن قوم ماتوا قبل ان يولد)

لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي ما خلقت خلقاً هو أعجب الي منك بك آخذ وبك أعطي وبك الثواب وعليك العقاب (قال العقيلي هذا حديث منكر)

من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ومن قرأها حين يأخذ مضجعه أمنه الله على داره ودار جاره ودويرات حوله (من رواته جنة وهو ضعيف ونهشل وهو كذاب)

من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له ومن قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له (حديث باطل من رواته محمد بن زكريا وهو يضع الحديث)

أن الله تعالى اعطي موسي الكلام وأعطاني الرؤيا وفضلني بالمقام المحمود

والحوض الورود (موضوع آفته الكديمى)

من صلى المغرب أول ليلة من رجب ثم صلى بعدها عشرين ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مرة ويسلم فيهن عشر تسليمات أتدرون ماثوابه فان الروح الامين جبريل اعلمني بذلك قلنا الله ورسوله أعلم قال حفظه الله تعالى فى نفسه وماله وأهله وولده واجير من عذاب القبر وجاز الصراط كالبرق بغير حساب ولا عذاب (موضوع اكثر رواته مجاهيل)

من لم يكن عنده صدقة فليلعن اليهود فانها صدقة (من رواته الطلحي وهو متروك)

اطلبوا الخير عند حسان الوجوه (من رواته عصمة بن محمد الانصاري وهو كذاب يضع)

استعينوا علي نجاح الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود (من رواته سعيد بن سلام العطار وهو كذاب)

لو أن الله عز (جل اذن للسموات والارض أن تتكلم لبشرت الذي يصوم شهر رمضان بالجنة (من رواته ابراهيم بن هوية وهو كذاب)

اذا سلمت الجمعة سلمت الايام واذا سلم رمضان سلمت السنة (تفرد به عبد العزيز ابن ابان وهو كذاب)

قال عمر يا رسول الله لقد نضل الله يوم عاشوراء قال نعم خلق الله السموات يوم عاشوراء واللوح مثله وخلق جبريل يوم عاشوراء وملائكته يوم عاشوراء وخلق آدم يوم عاشوراء وغفر ذنب داود يوم عاشوراء وأعطي سليمان بن داود يوم عاشوراء وولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء واستوي الرب عز وجل على العرش يوم عاشوراء ويوم القيامة يوم عاشوراء (موضوع آفته حبيب بن حبيب)

من صام تسعة أيام من أول المحرم بنى الله له قبة فى الهواء ميلا فى ميل لها أربعة أبواب (موضوع آفته موسى الطويل)

من صام آخر يوم من ذي الحجة وأول يوم من المحرم فقد ختم السنة الماضية وافتتح السنة المستقبلة بصوم جعل الله له كفارة خمسين سنة (موضوع من رواته الجويباري ووهب وهما كذابان)

أسئلة وأجوبتها

(التصديق بالغيب)

سيدى الفاضل ....

فطرت النفس وجبلت من مبدأ خلقتها الا تصدق الا بما تحس وتري فما معني ان الانسان يصدق ويؤمن بالله مع انه جل شأنه لم يكن شيئاً محسوسا ؟ هذا مارجو الاجابة عليه عبد السلام فهمى مصر

(الهداية) لم يقل أحد من العقلاء أن النفس البشرية مفطورة على عدم التصديق الا بما يحس الانسان ويشاهد فان كثيراً من الكائنات لا يسع أحدا انكارها ولا جحود وجودها . ولعل السائل يعرف ان القوة الكهربائية والقوة المغناطيسية ونحوهما كلها كائنات لا ينكر وجودها أحد. فمن ذا الذي رآها وأحس بها ؟ ان تلك القوي وأمثالها من الكائنات انما عرفت بآثارها فالظواهر الطبيعية من آثارها هى التي دلت على وجودها وهى التي بها أمكن الحكم عليها بالاحكام الفعلية وبها انقسمت وتنوعت . وكيف يمكن أحدا الحكم علي الكهرباء بالوجود لولا مايشاهد من الحرارة والنور والجذب وجر الاثقال ورفع الاحمال ؟ فاذا كان هذا شأن قوة الكهرباء ذات الآثار القليلة الحقيرة التي لولا يد الانسان وفكره وأبحاثه ماظهر شيء منها ولا انتفع أحد بفوائدها فما بالك بمبدع الكون ومصور الأجنة في الأرحام وخالق الثمار الشهية والزهور البهية من ماء واحد وطينة واحدة ؟ هذا وعسي ان يرجع السائل الى ما كتبناه فى صدد هذا فى المجلة حيث الكلام فى تأويل

قوله تعالي (الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل الارض فراشا) الى آخر الآية

هذا ومما ينبغى أن يتذكره السائل أن الوقوف عند حد المحسوسات والجمود علي المشاهدات وانكار المعقولات غير المادية كل ذلك من شأن الحيوانات العجم التي لم تكمل مشاعرها ولم تستو ارادتها ولم تبلغ مدار كها حد التكليف الذى بلغه الانسان فاصبح لا يكتفي بما يقع تحت مشاعره من المحسوسات بل تجاوزها الى المعقولات الصرفة التي لم يحط بها عالم الطبيعة بل نراه تجاوز جميع ذلك فامعن فكره ونظره فيما وراء الطبيعة . وهذه آثاره ونتائج مباحثه قد ملأت الفضاء وضخام الاسفار ..

(اتباع المصطفي خلاف الاولى)

حضرة الاستاذ ....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فلي ثلاثة أسئلة أريد الجواب عليها جعلكم الله لنا نورا نستضيء به آمين

(١) ذكرتم فى العدد الاول من الهداية ان النبي صلي الله عليه وسلم اتبع خلاف الاولى كما يدل عليه قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك) ثم انى أعلم أنه صلي الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى وبالأولى لا يفعل شيئاً عن الهوى وأن كل أقواله وأفعاله فيما يختص بالدين يوحى بها اليه فكيف والحالة هذه كان يتبع خلاف الاولى بل كيف حرم ما أحل الله ابتغاء مرضاة أزواجه؟

(البعث والنشور)

(٢) قلتم ان البعث يكون بتشكل جزء من المادة بالصورة المطابقة

لصورة الفرد فى الحياة الدنيا ثم تنفخ فيها روحه ويعطى جميع خواصه في حياته الاولى . والذى فهمته أن هذا الجزء من المادة ليس بالجزء ذاته الذى كان جسما لهذه الروح فى الدنيا . فما هو المانع من أن يكون الجزء من المادة الذى تنفخ فيه الروح هو ذات الجسم الذى كانت الروح تشغله فى الدنيا ؟

(نزول القرآن)

(٣) قلتم فى العدد الثاني من الهداية أن القرآن نزل على قلب الرسول معنى فنطق به بلسانه طبقاً لما نزل على قلبه . أتقصدون أن الفاظ القرآن التى تتلى هى ما اختاره النبي ونطق به ترجمة لما نزل على قلبه ؟ واذا كان هذا ما تقصدون فماذا يكون الفرق بين القرآن والحديث وكلاهما ألفاظ نطق بها النبي ترجمة لما أوحى الله اليه (اذا ثبت أن أقوال النبي جميعها موحى بمعناها اليه) ولماذا ينسب القرآن لله والحديث الى النبي ؟ الدكتور عبد الفتاح

(الهداية) زعم كفار قريش أن الرسول عليه السلام ما كان قرآنه وحياً فمنهم من قال أنه أساطير الاولين فهى تملى عليه بكرة وأصيلا. ومنهم من زعم الرسول شاعراً غوياً ضالا يراسل فواصله القرآنية عن هوى النفس وشهوتها. كل هؤلاء رد عليهم الحق تعالى فى غير موضع من القرآن الكريم. ومن هذا ماورد فى سورة النجم من قوله (ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوي) فهذه الآية الكريمة نزلت فى الرد علي من زعمه ضالا تملى عليه أهواء نفسه ما ينطق به من الآيات القرآنية. وعلى هذا فقد ينطق الرسول عليه السلام بما عدا القرآن كما تشاء له نفسه. وبعض المفسرين يرى أن فى كلمة الهوى معنى الميل الدنيء والقصد السافل . وعلى هذا فالرسول لا ينطق عن مثل هذا الهوى بشيء ماسواء كان قرآنا أو غيره . وأما كون الرسول عليه

السلام قد يفعل الشيء أو يقول القول بمحض ارادته ورغبته دون وحي يوحى اليه فهذا مما لانزاع فيه . وكيف وقد عاتبه الله تعالى على عدة أفعال صدرت منه . فمن ذلك (عبس وتولى أن جاءه الأعمى ومايدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى) الآيات ومنه (عفا الله عنك لم أذنت لهم....) ومنها ماورد فى هذا السؤال من قوله تعالى خطابا لرسوله (لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك) فان هذا أيضاً من ضروب العتاب التي ورد بها الكتاب الكريم اذ ليس المراد من التحريم هنا اعتقاد أن ماأحله الله تعالى حرام فان هذا مالايجوز في غيره فضلا عن سيد المرسلين. وانما المراد معاتبته على امتناعه عن الذي أحله الله له سواء كان العسل كما فى رواية أو مباشرة مارية القبطية أم أبراهيم كما في روايات أخرى

وبالاختصار فالنبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق بالقرآن الا وحياً يوحي. أما ماعداه من الأقوال أو الأفعال فلقد يأتيه الرسول عن محض ارادته واجتهاده كما فى حديث تأبير النخل وكما حصل منه غير مرة في الحروب والغزوات . وأما صدور شيء ما منه عليه الصلاة والسلام عن هوى دنئ وميل مرذول فهذا مالم يحصل منه أصلا ولا يجوز عليه . واذا نحن راجعنا ماورد فى صحيح مسلم من أحاديث تأبير النخل فان الرسول عليه السلام يقول» ولكن اذا حدثتكم بشيء عن الله فخذوا به فاني لن أكذب على الله تعالى « ومعني هذا أن الرسول لايجوز أن يسند الى الله تعالى ماليس وحيا منه . اما أن جميع ماجاء به من الأحكام وحى من الله تعالى فينافيه ماثبت من اجتهاده فى أكثر من مسألة

السؤال الثانى الذي نراه هو أن الاجسام تتألف من ذرات من الطين

ومعادن الارض مما يتمثل أولا ببنية النباتات. والسوائل تدخل جسم الأنسان فتتحول أجزاء منه وتتصور كل طائفة منها بصورة أجزاء البدن ولا يخفى أن الجسم كما أسلفنا لاقرار لذراته التي يتألف منها فهى تتغير وتتبدل وتفقد وتعوض. فليس الجسم على هذا قدرا محدودا لايزيد ولا ينقص ولا يتغير ولا يفقد بل نراه مع خضوعه لجميع ذلك يعتبر عينه ونفسه في كل حال . على أننا نعلم أيضاً أن الجسم اذا بلي واضمحل فلقد ينبت من رفاته وفضلاته ماشاء الله من النبات الذي قد يطعمه حيوان أو إنسان آخر فيتمثل ببنيته ويتشكل بصورته وكذلك القول فى مصير هذا وماعسى أن يتخلق بعد ذلك من أجزائه. فكيف يمكن أن تكون طائفة من الذرات محدودة معينة فى آن واحد جزءاً من جسم ثم من آخر ثم من آخر وهكذا ؟ على هذا لايمكن أن يعود انسان يوم البعث والنشور بعين أجزائه التي كان عليها فى الدنيا . ذلك مادعا كثيراً من منكري البعث الى الزيغ وهم الذين قصدنا أن نفند مزاعمهم ونهدي زيغهم بما كتبناه فى تفسير قوله تعالى (وبالآخرة هم يوقنون) مما أشار اليه سؤال هذا الطبيب الفاضل

أما الثالث فقد قرر علماء النفس أن المعاني لاترد في أذهان أصحابها الا بتبادل عليها من الألفاظ أو يطابقها من الصور الخارجية المتأدية الى الذهن باحدى الحواس الخمس . ومن هنا يفهم أن القرآن لا يوحي به الى النبي عليه السلام ولا ينزل على قلبه معاني مجردة عن دوالها من صور الألفاظ النفسية التى تطابقها الألفاظ الصوتية المنطوق بها . فالنبي عليه السلام لم يكن فيما كان يمليه من آيات الله متخيرا الألفاظ ولكن كان مبلغاً كتاب وحيه الجمل والعبارات كما قامت بنفسه . وفرق بين القرآن الكريم وبين الاحاديث النبوية الشريفة

من وجوه . أحدها أن القرآن يمليه النبي عليه السلام عازياً له الى الحق سبحانه وتعالى . ثانيها أن القرآن كله مروي بنصه وفصه متواترا بخلاف الاحاديث فان المتواتر منها بلفظه قليل جداً وأكثر الاحاديث مروية بمعانيها وانما الالفاظ للرواة وليس كل حديث نطق به الرسول عليه السلام . ثالثها أن القرآن معجز بعبارته وأسلوبه بخلاف الحديث

صحيفة الشعر والشعراء

الرق والحرية والضعف والقوة

صداح ياملك الكنا ... رو يا أمير البلبل
قد فزت منك (بمعبد) ... ورزقت قرب (الموصلى)
وأتيح لى (داود) مز ... ماراً وحسن ترتل
فوق الأسرة والمنا ... برقط لم تترجل
تهتز كالدينار فى ... مرتجّ لحظ الأحول
واذا خطرت علي الملا ... عب لم تدع لممثل
ولك ابتداءات (الفرز ... دق) فى مقاطع (جرول)
ولقد تخذت من الضحى ... صفر الغلائل والحلي
ورويت فى بيض القلا ... نس من عذارى الهيكل

* * *

ياليت شعرى ياأسير ... شج فؤادك أم خلي

وحليف سهد أم تنا ... م الليل حتى ينجلي
بالرغم مني ماتعا ... لج في النحاس المقفل
حرصي عليك هوى ومن ... يحرز ثمينا يبخل
والشح تحدثه الضرو ... رة فى الجواد المجزل
انا ان جعلتك فى نضا ... ر بالحرير مجلل
ولففته فى سوسن ... و حففته بقرنفل
وخرقت أزكي العود حو ... ليه وأغلي الصندل
وحملته فوق العيو ... ن وفوق رأس الجدول
ودعوت كل أغر فى ... ملك الطيور محجل
فأتتك بين مطارح ... ومجذ ومدلل
وأمرت بابني فالتقا ... ك بوجهه المتهلل
بيمينه فالوذج ... لم يهد (للمتوكل)
وزجاجة من فضة ... مملوءة من سلسل
ما كنت يا (صداح) عن ... دك بالكريم المفضل
شهد الحياة مشوبة ... بالرق مثل الحنظل
والقيد لو كان الجما ... ن منظما لم يحمل
ياطير لولا أن يقو ... لوا جن قلت تعقل
اسمع فرب مفصل ... لك لم يفدك كمجمل
صبراً لما تشقى به ... أو مابدالك فافعل
أنت ابن رأي للطبيـ ... ـعة فيك غير مبدل
أبدا مروع بالأسا ... ر مهدد بالمقتل

ان طرت عن كنفي وقعـ ـت على النسور الجهل

* * *

ياطير والأمثال تض ـرب للبيب الأمثل
دنياك من عاداتها أن لاتكون لأعزل
أو للغبي وان تعا ـل بالزمان المقبل
جعلت لحر يبتلي فى ذى الحياة ويبتلي
يرمى ويرمي فى جها ـد العيش غير مغفل
مستجمع كالليث ما يجهل عليه يجهل
أسمعت بالحكمين فى الا سلام يوم (الجندل)
فى الفتنة الكبرى ولو لا حكمة لم تشعل
رضي الصحابة يوم ذ لك بالكتاب انزل
وهم المصابيح الروا ة عن النبي رسل
قالوا الكتاب وقام كل مفسر ومؤول
حتى اذاوسعت (معا ـوية) وضاق بها (على)
رجعوا لظلم كالطبا ئع فى النفوس موصل
نزلوا على حكم القو ى وعندى رأى الأحيل
صداح حق ما أقو ل حفلت أم لم تحفل
جاورت أندي روضة وحللت أكرم منزل
بين الحفاوة من حسين والرعاية من علي
وحنان (آمنة) كأم ك فى صباك الأول
صح بالصباح وبشر الأبناء بالمستقبل

واسأل لمصر عناية تأتي وتهبط من عل
قل ربنا افتح رحمة والخير منك فأرسل
أدرك (كنانتك) الكري مة ربنا وتقبل

(شوقي)

علموا المرأة

أنشدنا حافظ ابرهيم لنفسه هذ القصيدة العصماء

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى فى حب مصر كثيرة العشاق
آلي لأحمل فى هواك صبابة يامصر قدخرجت عن الأطواق
لهفي عليك متي أراك طليقة يحمى كريم حماك شعب راق
كاف بمحمود الخلال متيم بالبذل بين يديك والانفاق
انى لتطربني الخلال كريمة طرب الغريب باوبة وتلاق
ويهزنى ذكر المروءة والندى بين الشمائل هزة المشتاق
ما البابلية في صفاء مزاجها . والشرب بين تنافس وسباق
والشمس تبدو فى الكؤوس وتختفي والبدر يشرق من جبين الساقى
بألذ من خلق كريم طاهر قد مازجته سلامة الاذواق
فاذا رزقت خليقة محمودة فقد اصطفاك مقسم الارزاق
فالناس هذا حظه مال . وذا علم . وذاك مكارم الاخلاق
والمال ان لم تدخره محصنا بالعلم كان نهاية الاملاق
والعلم ان لم تكتنفه شمائل تعليه كان مطية الاخفاق

لا تحسبن العلم ينفع وحده ... ما لم يتوج ربه بخلاق
كم عالم مد العلوم حبائلا ... لوقيعة وقطيعة وفراق
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه ... لمكيدة أو مستحل طلاق
يمشي وقد نصبت عليه عمامة ... كالبرج لكن فوق تل نفاق
يدعونه عند الشقاق وما دروا ... أن الذي يدعون حلف شقاق
وطبيب قوم قد أحل لطبه ... مالا تحل شريعة الخلاق
قتل الأجنة في البطون وتارة ... جمع الدوانق من دم مهراق
أغلى وأثمن من تجارب علمه ... يوم الفخار تجارب الحلاق
ومهندس للنيل بات بكفه ... مفتاح رزق العامل المطراق
متعنت تندي وتيبس كفه ... بالماء طوع الأصفر البراق
لا شيء يلوي من هواه قده ... في السلب حد الخائن السراق
وأديب قوم تستحق يمينه ... قطع الأنامل أو لظى الاحراق
يلهو ويلعب بالعقول بيانه ... فكأنه في السحر رقية راق
في كفه قلم يمج لعابه ... سما وينفثه على الأوراق
يرد الحقائق وهي بيض نصع ... قدسية علوية الاشراق
فيردها سودا على جنباتها ... من ظلمة التمويه ألف نطاق
عريت عن الخلق المطهر نفسه ... فحياته ثقل على الأعناق
لو كان ذا خلق لأسعد قومه ... ببيانه ويراعه السباق

* * *

من لي بتربية النساء فانها ... في الشرق علة ذلك الاخفاق
الأم مدرسة اذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الاعراق

الأم روض أن تعهده الحيا ... بالري أورق أيما ايراق
الأم أستاذ الأساتذة الأولى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا ... بين الرجال يجلن في الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع ... يحذرن رقبته ولا من واق
يفعلن أفعال الرجال لواهيا ... عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شؤونهن كثيرة ... كشؤون رب السيف والمزراق
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا ... في الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم أثاثا يقتني ... في الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الأزمان في أدوارها ... دولا وهن على الجمود بواق
فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا ... فالشر في التقييد والاطلاق
ربوا البنات على الفضيلة انها ... في الموقفين لهن خير وثاق
وعليكم أن تستبين بناتكم ... نور الهدى وعلى الحياء الباقي

شذور علمية

مذنب هالى والاوهام

تبين للفلكيين من أرصادهم أن مذنب هالى سيظهر فى شهر مايو وسيكون بينه وبين الأرض أربعة وعشرون مليونا من الكيلو مترات ولما كان لذوات الأذناب ذيول قد يتجاوز طولها مئات الملايين من الكيلو مترات أحيانا رجح هؤلاء الفلكيون امكان مرور الارض من خلال ذنب مذنب هالى كما مرت سنة ١٨١١ من خلال مذنب آخر

هذا كل ماقاله العلماء ولكن أوهام الناس ولدت المحالات العقلية فخيل للبعض أن ذيل المذنب سيصدم الأرض فيلاشيها أو ينشر عليها أبخرة قتالة فيختنق أهلها ولعل هذه الخيالات قد نشأت لهم من عدم وقوفهم على حقيقة هذه الذيول وقد جئنا اليوم نشرحها لهم بقليل من الكلمات لعلهم يطمئنون

تشاهد خلف المذنبات ذيول طويلة مضادة للجهة الموجودة فيها الشمس وتستطيل أو تقصر على قدر قربها أو بعدها منها

واختلف العلماء فى طبيعة هذه الذيول الطويلة . فمنهم من يقول انها مكونة من مادة غاية في الدقة تزيدها حرارة الشمس تخلخلا فتتبع المذنب فى سبحه فى الفضاء ومنهم من يقول انها أشعة منعكسة من الشمس على ذات المذنب فهى نور صرف لامادة فيه

وقد مال كثير من كبار العلماء المحدثين الى هذا الرأي حتي ان الاستاذ

الفلكى (ولفرد دوفو نفيل) قدم في هذا العهد الاخير مذكرة للمجمع العلمى الفرنسى قرر فيه هذا الرأي بكل دليل واتبعه فيه جمهور كبير

وسواء صح هذا الرأي أو الرأى الأول فلا خوف على الأرض ولا على أهلها من تلك الأذناب فلو كانت ضوأ فلاخوف من المرور فى الاضواء وهانحن هؤلاء مغمورون فى ضوء الشمس وهو مصدر الحياة والريحان. هل ضوء الذنب الا مكتسب منها وصادر عنها ؟ وان كانت الاذناب مادة فهى وتشبه العدم المحض لرقتها حتي قال أصحاب هذا الرأى ان هواء أرضنا لو قورن بها لكان أثقل من الذهب أو البلاتين بالنسبة اليها وحتي سماها الفلكى الاشهر (بابينيه) بالعدم الظاهر

وقال عنها العلامة (هيرش) ان ذنب المذنب الذي يقدر بمليونات الفراسخ المربعة لو وزن لما تجاوز وزن مائتي أوقية

وقال أكبر الفلكيين (نيوتن) ان ذنب المذنب لو بلغ كثافة الهواء أمكن حصره فى فراغ الكستبان . فهل يقال بعد هذا ان مقابلة الارض لذنب مذنب تسمى مصادمة فى عرف العلم الطبيعى ؟

على ان الأرض قد مرت كما قدمنا من خلال ذنب مذنب سنة ١٨٦١ ولم يشعر بذلك الا الفلكيون من حساباتهم . وقالوا انها مرت مرارا عديدة من أذناب مذنبات ولم يشعر بذلك أحد فليطمئن الناس بالا

محمد فريد وجدي

بحث اجتماعي

نمو الامة

﴿مواليدها ووفياتها﴾

لحضرة النطاسي البارع الدكتور احمد افندى عيسي

كل أمة كثر عددها يكون لها مكانة فى نفوس الأمم الأخرى وهيبة يخشع لها العدو . وكل أمة قل عددها تكون مضغة فى الأفواه ولعبة تتناوبها الامم القوية وتكون عرضة لكل غارة شعواء . والبراهين على ذلك عديدة. خذ الصين مثلا فانها على تأخرها فى ميدان الحضارة وقصرها عن سواها تراها مرعية الجانب نوعا ما وبحسب الاوربى منذ الآن لتمدينها الف حساب وحساب . وانظر الى أمة البوير (رحمها الله) فانها كانت أكثر عددا مما كانت عليه في أبان حربها الأخيرة. وانظر الي الالمانيين أزاء الفرنسيس على تساوى المدنية بينهما فان الاولين أقوى بطشا وأشد شكيمة على الآخرين لكثرة عددهم

اذا تبين ذلك وجب علينا أن ننظر فى حال أمتنا المصرية لنرى ان كانت آخذة فى النمو والازدياد أو كان نموها بطيئا يحتاج الى علاج ليكثر عدد أفرادها وتصير أمة ترهبها أعداؤها اذا لحق فى هذه الايام للقوة

ينحصر نمو كل أمة فى الذين يولدون منها والذين يتوفون . فاذا ازداد المولودون على المتوفين نمت الامة واذا تساويا أو قل المولودون عن المتوفين وقف نمو الامة أو اضمحلت

فلنبحث الآن فى المواليد والاكثار منها وفي الوفيات والعمل على اقلالها بقدر الامكان

﴿المواليد﴾

الامة المصرية من أكثر الامم تناسلا وربما كانت هى أولاها اذ يبلغ عدد الذين يولدون في كل سنة ١ ر ٤٥ فى الألف من النفوس وهي نسبة عظيمة جدا اذا قورنت بمثلها في بعض البلدان الأخرى كما فى الاحصاء الآتي:

مصر	فى كل الف يولد	١ ر ٤٥	في السنة
المانيا	»	٣٣	»
ايطاليا	»	٣١	»
انجلترا	»	٢٦	»
فرنسا	»	١٩	»

ففي مصر يزيد عدد الذين يولدون فى السنة عنهم فى المانيا ١٢ فى الألف و١٤ عن ايطاليا و١٩ عن انجلترا و٢٦ عن فرنسا وهى زيادة يبتهج لها قلب المصري ويخفق طربا

على أن هذه النسبة ليست واقفة عند حد وانما هي آخذة فى الزيادة عاما عن عام كما يتضح من الاحصاء الآتى عن العشر سنين التي فرطت:

في سنة ١٩٠٠ كان عدد الذين يولدون ٤ ر ٤١ في الألف .
وفي سنة ١٩٠١ كان عدد الذين يولدون ٩ ر ٤٠ فى الألف
وفى سنة ١٩٠٢ كان عدد الذين يولدون ٤ ر ٤٢ فى الألف
وفي سنة ١٩٠٣ كان عدد الذين يولدون ٥ ر ٤٢ في الألف
وفى سنة ١٩٠٤ كان عدد الذين يولدون ٤ ر ٤٥ فى الالف

وفى سنة ١٩٠٥ كان عدد الذين يولدون ٤٣ في الألف
وفى سنة ١٩٠٦ كان عدد الذين يولدون ٤ ر٤٤ فى الألف
وفي سنة ١٩٠٧ كان عدد الذين يولدون ٧ ر ٤٣ فى الألف
وفى سنة ١٩٠٨ كان عدد الذين يولدون ١ ر٤٥ في الألف
ومن ذلك يعلم أن الزيادة آخذة فى التدرج من عام الى عام بما يرتاح له الخاطر

غير أنه فى الامكان أن تكون الزيادة أكثر من ذلك بالطرق التي سنبينها

أسباب زيادة المواليد — من المعلوم أن المواليد فى كل أمة تبع لدرجة المدنية فيها وعزة الحياة : فكلما ترقت بلد فى سلم الحضارة وتهذبت وصارت الحياة عزيزة فيها كثر عدد الذين يولدون فيها . وكثرة المواليد فى مصر انما هى ناشئة فضلا عن الأسباب المتقدمة عن دين أهلها بالنسبة لتعدد الزوجات ولكون الرجل لا يضطر للبقاء مع زوجة عاقر . ومن الأسباب الباعثة كذلك على كثرة النسل قلة العزوبة والمصرى من عادته التبكير فى الزواج

فلأجل ازدياد عدد المواليد ينبغى اتباع الامور الآتية :

(١) مقاومة العزوبة فانها آخذة أن تكون عادة عند أكثر شبان العصر لعدم الموازنة بينهم وبين الزوجات فى التربية والاخلاق . فاذا لم يتدارك هذا الامر بتعليم البنات الأخلاق الفاضلة والتدبير المنزلي فشا هذا الداء فينا واستعصى فيقل النسل وتأخذ الامة فى الاضمحلال قليلا قليلا

(٢) الاعتناء بصحة الحوامل . تتعلم الامهات كيف يحتطن لانفسهن فى أثناء الحمل وحين الولادة حتى تتربى أجنتهن فى بطونهن وتبلغ حد التمام من الحياة الرحمية فيلدن أطفالا صحيحة الاجسام قوية البنية اذ أن عدداً عظيما من

الأطفال يموت بعلة الضعف الخلقي

(٣) الاقلاع عن عادة مرذولة وهى الاسقاط . ان كثيراً من الزوجات يسقطن لا لسبب سوى هجرهن لبعولتهن أو لكثرة الأولاد وعدم القدرة على تربيتهم وكلها علل فاسدة ومن أضرارها فضلا عن فقد الأولاد اصابة الامهات أنفسهن بامراض رحمية مزمنة

الوفيات

أما الذين يتوفون فى مصر فهم أكثر عدداً فى النسبة منهم في جميع البلدان الأخري اذ تبلغ نسبة الذين يتوفون فى السنة ٢٥ فى الألف وهى نسبة كبيرة جداً اذا قورنت بغيرها كما في الاحصاء الآتي :

مصر	يتوفى منها فى السنة ٢٥ فى الألف		
فرنسا	«	«	٢٠ «
ايطاليا	«	«	٢٠ «
المانيا	«	«	١٨ «
انجلترا	«	«	١٥ «
السويد	«	«	١٤ «
النرويج	«	«	١٣ «

فالفرق عظيم جداً بين مصر وفرنسا وأعظم منه ما بين مصر والنرويج اذ يبلغ ١٢ فى الألف وهذا المقدار لا يستهان به . فاننا اذا حسبنا الزيادة كلها عن معدلها فى هذه البلاد نجد الفرق ١٤٤٠٠٠ حياة

أما مقدار الوفيات كلها فى القطر المصري فى سنة ١٩٠٨ فقد بلغ ٢٠٨٨١٧ وبلغ عدد المواليد ٥٠٧٤٨٤ فيكون الزائد المضاف الى سكان القطر المصري

٢٦٦٦٦٧ نفساً .ولو تحسنت الأحوال الصحية حتى تساوى الوفيات هنا مثلها في النرويج مثلا لبلغ العدد الذى يزيد فى السنة على سكان القطر ٤١٠٦٦٧ نفساً وهو مانرجو تحقيقه

ومن يمعن النظر فى الاحصاآت يجد أن أكثر هذه الوفيات ناشئ عن أمراض يمكن اجتنابها . وليس لنا باب للوصول الى النجاة منها الا باتباع الأصول الصحية في جميع شؤوننا المعيشية لانها لا أثر لها عند السواد الاعظم من الأمة . ولا يأتي ذلك الا بتعليم أصول علم الصحة فى المدارس للذكور والاناث على السواء. وترجع كثرة الوفيات الى سببين هما أهم الأسباب :

(١) وفيات الاطفال (٢) والامراض العفنة

﴿ وفيات الاطفال ﴾

قال الاستاذ كورمون « لما كان الطفل جديد الاعضاء غذاؤه مقتصرا على اللبن وكان بعيدا عن التعرض للعدوى مباشرة ومحترسا عليه من البرد فلا سبب اذا لوفاته الا ان كان بخطأ او اهمال »

وعليه تكون الأمراض التي يتوفى بسببها الطفل مما يمكن اجتنابها والتوقى منها. فان نجاة الطفل أسهل من اطالة حياة الشيخ .وأكثر ماتكون وفاة الاطفال فى السن مابين الصفر الى السنة الواحدة وتبلغ ٣ر ٣٧ فى المائة من مجموع الوفيات. أى ان ثلث الوفيات وأكثر من الثلث من الاطفال الذين لم يتموا الحول. وتبلغ نسب الوفيات فى الأطفال الذين عمرهم مابين العام والعامين ٨ ر ١٧ فى المائة من المجموع. وعليه يكون أكثر من نصف الوفيات كلها فى مصر من الأطفال الذين عمرهم من صفر الى عامين وهو أمر محزن ينفطر له الفؤاد جزعا ويحار فيه العقل ذهولا .وأقل الأعمار وفيات

في الاطفال هو الذى بين الخمس والعشر سنين وتبلغ نسبة الوفاة فيه ٦ ر ٢ فى المائة من مجموع الوفيات

وهناك أمر آخر أسوأ عاقبة مما تقدم وهو نسبة الذين يتوفون من الأطفال الذين يتمون الحول من مجموع الولادات وتبلغ ٣٣١ طفلا تموت فى كل ١٠٠٠ طفل يولدون

ويمكن تقدير الحالة المحزنة التي عليها أطفال مصر من مقارنتها بالبلدان الأخري فى الاحصاء الآتى:

فى النرويج فى كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	٩٦ سنويا
السويد فى كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	١٠٠ سنويا
ايرلاندا في كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	١٠٦ سنويا
ايقوسيا في كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	١٢٩ سنويا
الدانيمارك في كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	١٣٢ سنويا
فنلاندا في كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	١٣٩ سنويا
سويسره في كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	١٤٣ سنويا
هولاندا فى كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	١٥١ سنويا
بلجيكا وفرنسا فى كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	١٦٨ سنويا
ايطاليا في كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	١٨٦ سنويا
بروسيا في كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	١٦٨ سنويا
المجر فى كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	٢٠١ سنويا
النمسا في كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	٢٢٦ سنويا
ورتمبورج فى كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت	٢٣٣ سنويا

بافيد فى كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت ٢٥٧ سنويا

ساكس في كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت ٢٦٦ سنويا

مصر فى كل ألف طفل عمره تحت الحول يموت ٣٣١ سنويا

فبمجرد النظر يعلم الفرق العظيم بين مصر من جهة وأقل البلاد وفيات وهي النرويج وبينها أيضاً وبين اكثر البلاد وفيات وهي ساكس من جهة أخرى. فلو أن مصر ساوت احد البلدين على كل حال لاكتسبت بذلك الاف الانفس التي تنجو من الموت فتنفعها نفعاً عظيما وخصوصاً في أراضيها القابلة للاصلاح. على أن كل بلدة من بلاد العالم أخذت فى اصلاح شؤونها الصحية لغرض تقليل الوفيات فى الاطفال أو غيرهم بقدر الامكان وحصلوا من ذلك على نتائج عظيمة قلت بسببها وفيات الأطفال فى كل بلدة. فمثلا فرنسا كان عدد الذين يتوفون فيها من الأطفال ١٥٨ في الالف في سنة ١٩٠٠ فاذا به أصبح ١٣٩ وفاة فى الالف فى سنة ١٩٠٥ وهكذا غيرها من البلدان الا مصر فانها جامدة لم تتقدم الى الأمام فى هذا السبيل خطوة واحدة. اللهم الا شيئاً يسيرا أخذوا فى التدرج فيه ولكننا الى الآن لم نر تقدما محسوساً يفرح له القلب الحزين فعسى أن تتحقق الاماني

ولا يفوتنا أن نذكر أن للمناخ تأثيراً في وفيات الاطفال فتكثر فى البلدان الكثيرة الحرارة وتقل فى المعتدلة. وفى البلد الواحد تكثر الوفيات فى شهور الحرارة الشديدة (يونيه ويوليه وأغسطس وسبتمبر) عنها فى الفصول الأخرى من السنة. والوفيات فى المدن أكثر منها في القرى وهي في الفقراء اكثر منها فى الموسرين فان الفاقة وضيق المسكن من أكبر العوامل في كثرة الوفيات. وتكثر الوفيات أيضاً فى الأطفال الذين

يرضعون رضاعة صناعية أي باللبن والذين يرضعون بواسطة مرضع مأجورة وتقل كثيراً فى الذين ترضعهم أمهاتهم

(الأمراض التي تكثر اصابة الاطفال بها)

قال الاستاذ هوتنيل أن العامل الاكبر فى كثرة الذين يتوفون من الاطفال هى الأمراض الآتية: الاصابات المعدية المعوية والضمور (أى ضعف البنية والراشتسم) والاتربسيا فالمرضان الاولان ممهد ان للثالث الذى هو أكثر انتشاراً فى الصيف

(العلاج لتقليل وفيات الاطفال)

لعلاج هذه الحالة جملة أمور نذكر منها

اجتناب ولادة الاطفال الضعفاء أو قبل التمام أو الاطفال المرضى — المساعدة على الارضاع بواسطة الأم — تعليم الأمهات كيفية ارضاع أولادهن وتغذيتهم والاعتناء بنظافتهم وملابسهم — مراقبة الرضيع والاطفال والالبان المعدة لغذائهم تحسين حال المساكن

(١) فاما اجتناب ولادة الاطفال الضعفاء أو قبل التمام أو المرضى فتكون باتخاذ الاحتياطات الصحية قبل الحمل وفي أثنائه فالتي قبل الحمل تكون بانتخاب الزوجين المنتخبين بأن يكونا جيدي الصحة خاليين من الأمراض التي تنتقل بالوراثة مثل الزهري وادمان السكر والسل والأمراض العصبية لان الطفل تطبع فيه صورة والديه صحة وسقما

والاحتياطات التي تتخذ في أثناء الحمل تكون باتخاذ الاحتياطات التي تساعد المرأة على الولادة في التمام فان اتمام مدة الحمل تجعل الطفل كامل الخلقة شديد القوة فتراقب المراقبة الطبية

وهذه المراقبة ليست قاصرة علي نجاة الأم وانما تساعد كذلك علي ولادة الاطفال أحياء جيدى الصحة في التمام

(٢) — المساعدة علي الرضاع بواسطة الأم — لما كانت الرضاعة الصناعية أو بواسطة مرضع هى من الأسباب الداعية الى كثرة وفيات الأطفال فيجدر اذا حض الأمهات علي ارضاع أطفالهن وتشجيعهن علي أداء هذا الواجب فان فيه غير الفوائد الأدبية فوائد صحية كثيرة للمرأة. وذلك لان الارضاع هو المتمم الطبيعي للحمل والوضع. فبسببه ينقطع الحيض فتراح الاعضاء التناسلية وينكمش الرحم تدريجياً حتى يصل الى حجمه الطبيعى وقد وضع الاستاذ بينار قاعدة وهى أن كل امرأة صحيحة يجب أن ترضع ولدها

٣ — تعليم الأمهات كيفية ارضاع الاطفال وتغذيتهم والاعتناء بنظافتهم وملابسهم — لا يقتصر واجب الأم على ارضاع ولدها بل يجب عليها كذلك أن تعرف كيف ترضعه وتغذوه وتلبسه ملابسه اللائقة لكل فصل من السنة ثم تربيه التربية المناسبة لسنه بحيث تمنعه من التعرض للبرد وللعدوى أو التعرض للأمراض كالحصبة والدفتريا الخ وهذا لا يكون الا في مدارس خاصة تعلم فيها فوق التدبير المنزلى تربية الاطفال فتعلم الفتيات أسباب وفيات الأطفال والأمور الصحية الوجب اتخاذها لحفظ صحتهم وتدارك أمراضهم وقد قرب هذا الأمل أن يتحقق اذ سمعنا أن سعادة ناظر المعارف الهمام قد أمر بانشاء مدارس للخادمات. فتلك المدارس لابد أن يكون أساسها تعليم تربية الأطفال وهذا الصنف من التعليم قد جري شوطاً بعيداً فى التقدم في أكثر البلدان الاوربية وهى التي قلت فيها وفيات الاطفال بفضل هذه التربية

وهذه الأمور الاربعة التي ذكرتها قد شرحتها شرحاً وافيا في كتاب صحة المرأة في أدوار حياتها فليراجعها هناك من أراد

٤ — مراقبة الرضيع والاطفال والالبان المستعملة لتغذيتهم — من اللازم أن تعرض الاطفال مرة في كل أسبوع علي الطبيب للفحص والوزن ومراقبة أحوالهم الصحية وارشاد أمهاتهم وحضهن علي ارضاعهم من ثديهن والفقيرات المعسرات منهن يعطى لهن اللبن اللازم لغذاء أطفالهن معقما محفوظاً في قناني خاصة اذ أن أكثر الاسهالات ناشئة عن اللبن المغشوش وتلوثه بجراثيم الامراض العفنة لا سيما في زمن الصيف. ومن الواجب ان تنشأ شركات للحصول على اللبن تأتى ببقر ينتقى بعد الكشف الطبي ويعلف علفاً خاصاً واللبن الذى يحصل عليه منه يعقم ويحفظ فى قناني تسد وتحفظ فى الثلج للمبيع أو للصرف مجاناً بحسب الاحوال. وكل قنينة تحتوي على ١٥٠ جراما من اللبن مضافا له من الماء المعقم ماينا سب سن الطفل وللقناني أرقام خاصة فتشترى الام الرقم الذى يقابل سن الطفل رأسا

٥ — تحسين حالة المساكن ومنع انتشار الامراض المعدية

من المعلوم أن أكثر مساكننا غير صحي فهى ضيقة لا يدخلها النور ولا يتخللها الهواء. وقلما تظهر بعد ظهور المرض فيها. فالمساكن التى هذه حالتها لابد وأن تكثر فيها الامراض فتحصد الاطفال وقد عملت البلاد المتمدينة على اصلاح مساكنها وصرفت المجالس البلدية في أكثر بلدانها المبالغ ولا تزال تصرف منها الشيء الكثير على اصلاح أحوالها الصحية حتى بلغت المقصود منها وتحسنت الاحوال وقلت بذلك الوفيات قلة تذكر.

﴿ الامراض العفنة ﴾ — للامراض العفنة نصيب عظيم فى وفيات